بُنَاة دَولَةِ الإسْلام

-٧-

سَعْدُ بن مُعاذ

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِه وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ دَرْبِهِ وَبَعْدُ: فَلَيْسَتِ ٱلسَّعَادَةُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا أَنْ يَجْمَعَ ٱلإِنْسَانُ ٱلْمَالَ، وَيَمْلِكَ ٱلْمَتَاعَ، وَيَتَحَرَّكَ فِي سَبِيلِ ذٰلِكَ فَقَطْ، إِنَّمَا ٱلسَّعَادَةُ فِي رَاحَةِ ٱلنَّفْسِ وَهُدُوءِ ٱلْبَالِ وَلا يَتِمُّ هٰذا إِلاَّ بِإِرْضَاءِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ.

لَيسَ مِنَ ٱلْمَالِ وَٱلْمَتَاعِ وَٱلشَّهْوَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ لِلْجَسَدِ، وَهُوَ شَيْءٌ زَائِلٌ فَانٍ، وَلَيْسَ ٱلإِنْسَانُ مادَّةً فَحَسْبُ وَإِنَّما رُوحٌ إِلَىٰ جَانِبِ تِلْكَ ٱلْمادَّةِ، وَإِذا كَانَتِ ٱلْمادَّةُ فيه تَجدُ لَذَّتَها في هذهِ ٱلدُّنْيَا بما فيها مِنْ مُغْرياتٍ، فَإِنَّ ٱلرُّوحَ لا تَجدُ رَاحَتَهَا في ٱلدُّنْيَا إِلاَّ إِذا ٱسْتَطَاعَ صَاحِبُهَا تَحْقِيقَ ٱلْمَنْهَجِ ٱلَّذِي يَدْعُو لَهُ، وَهٰذا ٱلتَّحْقِيقُ لا يَتِمُّ إِلاَّ بِٱلْعَمَلِ ٱلدَّائِبِ وَٱلْحَرَكَةِ ٱلْمُسْتَمِرَّةِ.

إِنَّ ٱلسَّعَادَةَ ٱلصَّحِيحَةَ هِيَ ٱلَّتِي تُؤَمِّنُ حاجَاتِ ٱلْجِسْمِ كَامِلَةً بما فيهِ مِنْ رُوحٍ وَمادَّةٍ، وحَرَكَةُ ٱلإِنْسانِ يَجبُ أَنْ تَسِيرَ في هٰذا ٱلاتِّجاهِ، تُؤَمِّنُ حَاجَاتِ ٱلإِنْسانِ ٱلْمَادِّيَّةَ، وَتَسْعَى

لِتَحْقِيق ٱلْمَبْدَأ ٱلْذِي يُؤْمِنُ بِهِ وَٱلْعَقِيدَةِ ٱلَّتِي يَعْتَقِدُها، وَلَمْ تَكُنْ حَرَكَةُ صَحَابَةِ رَسُول ٱللهِ ﷺ إلاّ في هٰذا ٱلْخطّ.

صَحَابَةُ سَيّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أُسْوَةٌ لَنَا، فَحَرَكَتُنَا يَجبُ أَنْ تُوازِيَ حَرَكَتَهُمْ، وتَسِيرَ مَعَهَا، حَتَّىٰ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَصِلَ إِلَىٰ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مَجْدٍ وَرِفْعَةٍ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا، وَفَوْزٍ فِي ٱلآخِرَةِ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰواتُ وَٱلأرْضُ.

وَدِرَاسَةُ حَيَاتِهِمْ رِضْوانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ إِنَّما هِيَ لِنَأْخُذَ مِنْهَا ٱلدُّرُوسَ، وَنَسْلُكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّذِي ٱتَّبَعُوهُ، وَلَعَلَّ فِي دِرَاسَةِ سَيّدِ ٱلأَنصَارِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ما يُؤَمِّنُ هٰذا ٱلْجَانِبَ، فَنَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنَا ٱللهُ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَاقِعِ حَيَاةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْفَذِّ.

هٰذا.. وَلَيْسَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْعُظَمَاءِ ٱلْمَجْهُولِينَ وَلٰكِنَّ حَيَاتَهُ فِي ٱلإِسْلام كَانَتْ قَصِيرَةً بِحَيْثُ لَمْ تَزِدْ عَلَىٰ ٱلسَّنَواتِ ٱلسّتّ، لِذَا فَإِنَّ ذِكْرَهُ كانَ قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ ٱلصَّحَابَةِ ٱلَّذِين عَمَّرُوا فِي ٱلإِسْلاَمِ، فَخَاضُوا ٱلْمَعَارِكَ، وَقَادُوا ٱلْفُتُوحَ، وَلَوْ عَاشَ طَوِيلاً فَلَرُبَّمَا كانَ لَهُ أَثَرٌ أَكْبَرُ، إِذْ يُعَدُّ بَيْنَ ٱلأَنْصَارِ كَأَبِي بَكْرٍ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ.

وَٱللهَ وَحْدَهُ نَسْأَلُ أَنْ يُلْهِمَنَا ٱلصَّوَابَ، ويُجَنِّبَنَا ٱلْعَثَرَاتِ، وَيُسَدِّدَ خُطَانَا عَلَىٰ ٱلطَّرِيقِ ٱلصَّحِيحِ.

هجرة القبائل اليمنية

كَانَتِ ٱلأَحْوَالُ ٱلْمُنَاخِيَّةُ فِي ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ غَيْرَ ٱلَّتِي هِيَ عَلَيْهِ ٱلآنَ، فَقَدْ كَانَتِ ٱلأَمْطَارُ أَكْثَرَ غَزَارَةً، وَٱلْجَوُّ أَكْثَرَ رُطُوبَةً، فَٱشْتَغَلَ أَبْنَاءُ ٱلْمَنَاطِقِ ٱلْمُمْطِرَةِ كَالْيَمَنِ بِٱلزِّرَاعَةِ، وَٱنْطَلَقُوا يَبْنُون ٱلسُّدُودَ فِي سَبِيلِ حِفْظِ مَاءِ ٱلْمَطَرِ أَثْنَاءَ ٱلتَّهْطَالِ إِلَىٰ أَوْقَاتِ ٱلشُّحِّ وَٱلْجَفَافِ وَٱلاِسْتِفَادَةِ مِنْهُ فِي ٱلرَّيِّ وَسَقْيِ ٱلْمَزْرُوعَاتِ، وَلَعَلَّ أَكْبَرَ هٰذِهِ ٱلسُّدُودِ وَأَشْهَرَهَا ٱلسَّدُّ ٱلَّذِي بُنِيَ عَلَىٰ وَادِي (مزاب) ٱلْيَمَنِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلَّذِي يَصُبُّ فِيهِ عَدَدٌ مِنَ ٱلأَوْدِيَةِ، وَيَسْقِي أَرْضَ ٱلْجَنَّتَيْنِ وَٱلَّذِي يُعْرَفُ بِٱسْمِ سَدِّ (مَأْرِبِ) وَقَدْ وَصَفَهُ يَاقُوتُ ٱلْحَمَوِيُّ بِقَوْلِهِ «هُوَ بَيْنَ ثَلاثَةِ جِبَالٍ، يَصُبُّ مَاءَ ٱلسَّيْلِ إِلَىٰ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ لِذٰلِكَ ٱلْمَاءِ مَخْرَجٌ إِلاَّ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ ٱلأَوَائِلُ قَدْ سَدُّوا ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعَ بِٱلْحِجَارَةِ ٱلصُّلْبَةِ وَٱلرَّصَاصِ، فَيَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ عُيُونٍ هُنَاكَ مَعَ مَا يَجْتَمِعُ مِنْ مِيَاهِ ٱلسُّيُولِ، فَيَصِيرُ خَلْفَ ٱلسَّدِّ كَٱلْبَحْرِ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا سَقْيَ زُرُوعِهِمْ فَتَحُوا مِنْ ذٰلِكَ ٱلسَّدِّ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ بِأَبْوَابٍ مُحْكَمَةٍ وَحَرَكَاتٍ مُهَنْدَسَةٍ، فَيَسْقُونَ حَسْبَ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ يَسُدُّونَهُ إِذَا أَرَادُوا».

وَمَعَ ٱلزَّمَن بَدَأَ ٱلْمُنَاخُ يَمِيلُ بِالتَّدَرُّجِ نَحْوَ ٱلْجَفَافِ، وَبَدَأَتِ ٱلْحَاجَةُ إِلَىٰ ٱلْمِيَاهِ تَزْدَادُ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلسُّدُودَ بَدَأَتْ تَتَدَاعَىٰ لإِهْمَالِهَا وَعَدَمِ تَقْدِيرِ أَهْلِهَا لِلنِّعَمِ ٱلَّتِي هُمْ فِيهَا، وَغَدَا سَدُّ (مَأْرِب) ٱلَّذِي يَحْفَظُ خَلْفَهُ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةً يُنْذِرُ بِٱلْخَطَرِ، فَبَدَأَتِ ٱلْقَبَائِلُ تَتْرُكُ مَوَاطِنَهَا لِتَسْتَقِرَّ فِي مَنَاطِقَ أُخْرَىٰ، خَوْفاً مِنْ طُوفَانٍ مُرْتَقَبٍ، وَطُغْيَانٍ لِلْمَاءِ مُنْتَظَرٍ، وَعِنْدَمَا تَهَدَّمَ ٱلسَّدُّ ٱنْطَلَقَتْ بَقِيَّةُ ٱلْقَبَائِلِ تَتَنَقَّلُ فِي بِلاَدِ ٱلْيَمَن، وَتُرْسِلُ ٱلرُّوَّادَ لاِخْتِيَارِ مَنَازِلَ جَدِيدَةٍ لَهَا، ثُمَّ سَارُوا بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَىٰ ٱلشمَال. (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ).[1]

كَانَتِ ٱلْهِجْرَةُ بِرَأْيِ سَيِّدِ وَلَدِ ٱلأَزْدِ مِنْ كَهْلاَنَ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، فَخَرَجَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ مِنْ وَلَدِ ٱلأَزْدِ، ثُمَّ تَوَزَّعُوا فِي ٱلْجَزِيرَةِ، فَعَطَفَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرٍو نَحْوَ ٱلحِجَازِ، وَأَقَامَ بَيْنَ ٱلثَّعْلَبِيَّةِ وَذِي قَارٍ، يَتَتَبَّعُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ مَوَاقِعَ ٱلْقَطْرِ، وَلَمَّا كَبِرَ وَلَدُهُ، وَقَوِيَ رُكْنُهُ، سَارَ نَحْوَ يَثْرِبَ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْيَهُودِ

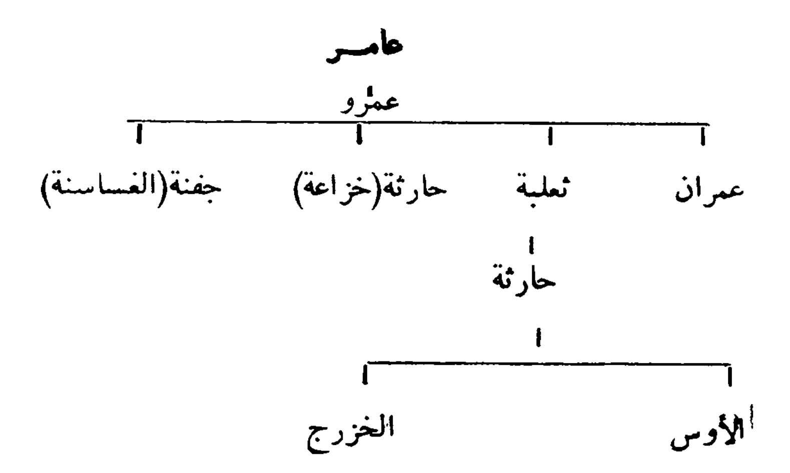
---

(١) سبأ الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

مُتَفَرِّقُونَ في نَواحِيهَا ، فَٱسْتَوْطَنُوهَا ، وَأَقَامُوا بِهَا ، وَغَلَبُوا أَهْلَهَا ، وَمِنْ أَبْنَاءِ ثَعْلَبَةَ هٰذَا حَارِثَةُ أَبُو ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَج .

نَزَلَتْ خُزَاعَةُ قُرْبَ مَكَّةَ ، وَخُزَاعَةُ هُوَ حَارِثَةُ بْنُ عَمرٍو . وَٱتَّجَهَتْ قَبَائِلُ ٱلأَزْدِ نَحْوَ عُمَانَ ، وَأَقَامَتْ بِهَا ، وَرَئِيسُهَا عِمْرَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وَسَارَ جَفْنَةُ بْنُ عَمْرٍو إِلَىٰ ٱلشَّامِ ، وَهُوَ أَبُو ٱلْغَسَاسِنَةِ .

وَسَارَتْ قَبِيلَةُ لَخْمِ بْنِ عَدِيٍّ إِلَىٰ أَطْرَافِ ٱلعِرَاقِ ، وَٱسْتَقَرَّتْ قُرْبَ ٱلْحِيرَةِ . وَنَزَلَتْ بَعْضُ أزدِ سَرَاةَ العسيرِ . أَمَّا طَيْءٌ فَقَدْ نَزَلَتْ شِمَالَ شَرْقِيِّ يَثْرِبَ .



اَليَهـودُ في يـثْرِبَ

سَكَنَ ٱلْيَهُودُ يَثْرِبَ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ ، وَقَدْ وَصَلُوا إِلَيْهَا في عِدَّةِ أَوْقَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ يَرْجِعُ أَوَّلُهَا إِلَىٰ حَوَالَيْ ١٢٠٠ ق. م أَيَّامَ سَيِّدِنَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ ٱللهِ مُوسَىٰ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنْ مِصْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ ٱلشَّامِ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْماً جَبَّارِينَ مِنَ ٱلْعَمَالِقَةِ في مِنْطَقَةِ يَثْرِبَ قَدْ بَغَوْا في ٱلأَرْضِ ، وَسَامُوا ٱلنَّاسَ سُوءَ ٱلْعَذَابِ، فَجَرَّدَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً عَسْكَرِيَّةً مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمَرَ قَائِدَ هٰذِهِ ٱلْحَمْلَةِ أَنْ يَسْتَأْصِلَ شَأْفَةَ هٰؤُلاَءِ ٱلْعَمَالِقَةِ، وَلاَ يُبْقِي عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ وَصَلَتْ هٰذِهِ ٱلْحَمْلَةُ إِلَىٰ يَثْرِبَ، وَأَبَادَتِ ٱلْعَمَالِقَةَ إِلاَّ وَاحِداً مِنْهُمْ عَادَتْ بِهِ مَعَهَا، وَعِنْدَ وُصُولِهَا إِلَىٰ بِلاَدِ ٱلشَّامِ وَجَدَتْ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ قَدْ تُوُفِّيَ، وَقَدْ مَنَعَ زُعَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَىٰ جُنُودَ هٰذِهِ ٱلْحَمْلَةِ مِنَ ٱلْبَقَاءِ بَيْنَهُمْ لِمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ مُوسَىٰ بِإِبْقَاءِ أَحَدِ ٱلْعَمَالِقَةِ، وَقَالُوا لَهُمْ وَٱللهِ لاَ تَدْخُلُنَّ عَلَيْنَا ٱلشَّامَ أَبَداً .

تَشَاوَرَ قَادَةُ ٱلْجَيْشِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنِ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ، وَأَخِيراً ٱسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ أَنْ يَعُودُوا بِكَامِلِ جَيْشِهِمْ

إِلَىٰ يَثْرِبَ، فَرَجَعُواْ، وَٱسْتَقَرُّواْ هُنَاكَ.

أَمَّا ٱلْوَقْتُ ٱلثَّانِي ٱلَّذِي نَزَحَ فِيهِ ٱلْيَهُودُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَيَعُودُ إِلَىٰ ٱلْمُدَّةِ ٱلْوَاقِعَةِ بَيْنَ عَامِ ٧٠ وَ ١٣٢ م حَيْثُ ٱسْتَوْلَىٰ ٱلرُّومُ عَلَىٰ بِلَادِ ٱلشَّامِ عَامَ ٦٤ ق. م. وَفَتَكُواْ بِٱلْيَهُودِ، وَنَكَّلُوا بِهِمْ، فَٱضْطُرَّ هؤُلَاءِ ٱلْيَهُودُ إِلَىٰ ٱلْفِرَارِ بِأَنْفُسِهِمْ، وَٱلتَّفَرُّق فِي أَنْحَاءٍ آمِنَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ مَجَال ٱلرُّومِ، وَكَانَ بَنُو ٱلنَّضِيرِ وَبَنُو قُرَيْظَةَ مِمَّنْ خَرَجَ وَٱتَّجَهَ نَحْوَ يَثْرِبَ آنَذَاكَ.

أَصْبَحَتْ يَثْرِبُ تَحْتَ زَعَامَةِ ٱلْيَهُودِ مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ ٱلزَّمَنِ، وَكَانَ يَعِيشُ بِجَانِبِهِمْ قَبَائِلُ عَرَبِيَّةٌ مِثْلُ بَنِي ٱلْحِرْمانِ وَبَنِي مَرْثَدٍ وَبَنِي بُكَيٍ وَغَيْرِهَا، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِهٰذِهِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ كَبِيرُ وُجُودٍ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ مَنْعَ ٱلْيَهُودِ مِنَ ٱلتَّحَكُّمِ فِي ٱلْمَدِينَةِ أَوْ مَنْعَ دُخُول نُزَلَاءَ جُدُدٍ إِلَيْهَا. بَقِيَ ٱلْيَهُودُ فِي سَيْطَرَتِهِمْ هٰذِهِ حَتَّىٰ أَخَذَتْها مِنْهُمْ قَبَائِلُ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ.

ٱلأوسُ وَالخـزرَجُ

نَزَلَ ٱلأوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ ٱبْنَا حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَثْرِبَ، وَلٰكِنَّهُمْ ظَلُّوا ضُعَفَاءَ أَمَامَ سَيْطَرَةِ ٱلْيَهُودِ وَتَمَاسُكِهِمْ، فَعَاشُوا فِي ضِيقٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ، بَيْنَمَا كَانَ ٱلْيَهُودُ يَتَمَتَّعُونَ بِسُلْطَانِ ٱلْمُلْكِ، وَٱلثَّرْوَةُ كُلُّهَا بِأَيْدِيهِمْ.

فَكَّرَ ٱلأَوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ فِي ٱلاِسْتِعَانَةِ بِإِخْوَانِهِمُ ٱلْغَسَاسِنَةِ مِنْ مُلُوكِ ٱلشَّامِ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَ زُعَمَائِهِمْ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْعَجْلاَنِ لِيَطْلُبَ ٱلْعَوْنَ ٱلْعَسْكَرِيَّ مِنْهُمْ ضِدَّ ٱلْيَهُودِ، فَحَصَلَ عَلَىٰ مَا يُرِيدُ، وَسَارَ ٱلْمَلِكُ ٱلْغَسَّانِيُّ بِجَيْشِهِ لِنَجْدَةِ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ فِي يَثْرِبَ، وَهُنَاكَ أَوْقَعَ بِٱلْيَهُودِ وَأَذَلَّهُمْ، وَصَارَ ٱلأَوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ أَنْدَاداً لِلْيَهُودِ يُصَاوِلُونَهُمْ وَيُجَاوِلُونَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا لاَ يَجْرُؤُونَ عَلَىٰ ٱلتَّعَرُّضِ لَهُمْ، وَمَعَ هٰذَا بَقِيَ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلتَّمَاسُكِ، وَلِهٰذَا دَامَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَ ٱلْفَرِيقَيْنِ زَمَناً غَيْرَ قَصِيرٍ.

دَبَّرَ ٱلأَوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ مَكِيدَةً لِلْيَهُودِ، أَفْنَوْا فِيهَا عَدَداً كَبِيراً مِنْهُمْ مِمَّا أَضْعَفَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا بَعْدَهَا ٱلْوُقُوفَ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ فِي يَثْرِبَ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ قَبِلُوا ٱلاِنْدِمَاجَ

مَعهُمْ بِٱلتَّحَالُفِ، فَتَحَالَفَ بَنُو قُرَيْظَةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَ ٱلأَوْسِ. وَتَحَالَفَ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَبَنُو ٱلنَّضِيرِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَ ٱلْخَزْرَجِ. وَهٰذَا مَا ضَمِنَ لَهُمُ ٱلْبَقَاءَ فِي يَثْرِبَ.

مَعَ هٰذَا ٱلذُّلِّ ٱلَّذِي أَصَابَ ٱلْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ ظَلُّوا ذَوِي مَرْكَزٍ مَالِيٍّ كَبِيرٍ وَنُفُوذٍ ٱقْتِصَادِيٍّ ضَخْمٍ حَيْثُ يَعْمَلُونَ بِٱلرِّبَا وَٱلْمتَاجَرَةِ بِٱلْخَمْرِ وَٱلسِّلاَحِ وَإِذْكَاءِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ لإِنْهَاكِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ وَٱسْتِعَادَةِ سَيْطَرَتِهِمْ.

وَمَا أن ٱنْتَهَتْ قُوَّةُ ٱلْيَهُودِ وَظَهَرَ سُلْطَانُ ٱلأوْسِ وَٱلخَزْرَجِ، حَتَّىٰ نَزَغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ، وَبَدَا قَرْنُ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَٱبْتَدَأَتِ ٱلْحُرُوبُ بَيْنَهُمَا، وَتَمَكَّنَتِ ٱلْعَدَاوَةُ، وَتَأَصَّلَتِ ٱلْكَرَاهَةُ.

وَهٰكَذَا كَانَتِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ تَحْكُمُ يَثْرِبَ، تُحَرِّكُهَا ٱلْعَصَبِيَّةُ، وَتَدْفَعُهَا ٱلْيَهُودِيَّةُ ٱلَّتِي لاَ تَعِيشُ إلاَّ عَلَىٰ ٱلْحُرُوبِ وَسَفْكِ ٱلدِّمَاءِ وَإِثَارَةِ ٱلْبَغْضَاءِ، وَتَشْجِيعِ أَقْوَامٍ عَلَىٰ آخَرِينَ، وَلاَ يَعْرِفُ ٱلْيَهُودُ ٱلسَّعَادَةَ إِلاَّ عِنْدَمَا يَرَوْنَ دِمَاءَ غَيْرِهِمْ تُرَاقُ، وَتَتِمُّ ٱلسَّعَادَةُ أَكْثَرَ إِنْ كَانُوا هُمْ سَبَبَ ٱلْفِتْنَةِ وَإِذْكَاءِ نَارِ ٱلْحَرْبِ.

وَكَانَتْ عِبَادَةُ ٱلأَوْثَانِ هِيَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بَيْنَ ٱلْقَبائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَتْ (مَنَاةُ) صَنَماً تُعَظِّمُهُ ٱلأَوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ، وَكَانَ مَنْصُوباً

عَلَىٰ ٱلْبَحْرِ بنَاحِيَةِ المشلل[١] بقُدَيْدٍ بَيْنَ مكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ، وَتُذْبَحُ عِنْدَهُ ٱلْقَرَابِينُ إِضَافَةً إِلَىٰ تَعْظِيمِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلأُخْرَىٰ لَهُ.

وَتَعَدَّدَتِ ٱلأَيَّامُ وَٱلْحُرُوبُ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ وَكَانَ أَكْثَرُهَا لِصَالِحِ ٱلْخَزْرَجِ حَيْثُ هُمْ أَكْثَرُ عَدَداً، وَهٰذَا مَا جَعَلَ ٱلأَوْسَ يُفَكِّرُونَ في إِيجَادِ حُلَفَاءَ لَهُمْ يَسْتَطِيعُونَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ إِحْرَازَ ٱلنَّصْرِ عَلَىٰ خُصُومِهِمْ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ، فَإِنَّ حَرْباً جَدِيدَةً مُحْتَمَلَةَ ٱلْوُقُوعِ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ، بَعْدَ تَهْدِيدِ ٱلْخَزْرَجِ لِبَنِي قُرَيْظَةَ حُلَفَاءِ ٱلأَوْسِ بِقَتْلِ رَهَائِنِهِمْ إِنْ لَمْ يُخْلُوا لَهُمْ دِيَارَهُمْ لِيَسْكُنُوهَا[٢]، وَكَانَ عَلَى ٱلْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَنْ يَنْزِلُوا عِنْدَ طَلَبِ ٱلْخَزْرَجِ لَوْلا أَنْ مَنَعَهُمْ حُلَفَاؤُهُمْ مِنَ ٱلأَوْسِ، وَنَزَلَ بَعْضُ رِجَالِهِمْ مَعَهُمْ في حُصُونِهِمْ، يُدَافِعُونَ عَنْهَا ضِدَّ ٱعْتِدَاءِ ٱلْخَزْرَجِ.

ٱتَّجَهَتْ أَنْظَارُ ٱلأَوْسِ إِلَىٰ قُرَيْشٍ في مَكَّةَ لِتَكُونَ حَلِيفَةً لَهُمْ، وَأَرْسَلُوا وَفْداً إِلَيْهَا بِرِئَاسَةِ أَبِي ٱلْحَيْسَرِ أَنَسِ بْنِ رَافِعٍ، وَيَضُمُّ إِيَاسَ بْنَ مُعَاذٍ أَخَا سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣].

---

(١) المشلل: جبل هناك يشرف على البحر.

(٢) كانت منازل الخزرج غير ملائمة صحياً، وفيها سباخ، بينما كانت منازل بني قريظة أفضل مناخاً، وأعذب ماء.

(٣) لم يتم الحلف مع قريش. وبعد انصراف الوفد من مكة نشبت حرب (بُعاث).

نَشِبَتْ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ ٱلْمُتَنَازِعَيْنِ فِي يَثْرِبَ مَعْرَكَةُ (بُعَاثٍ) وَكَانَ ٱلنَّصْرُ فِيهَا لِلأَوْسِ عَلَى ٱلْخَزْرَجِ ، وَٱلَّتِي كَادَ ٱلأَوْسُ فِيهَا يَسْتَأْصِلُونَ شَأْفَةَ إِخْوَانِهِمُ ٱلْخَزْرَجِ ، وَيَهْدِمُونَ دُورَهُمْ، لَوْلَا أَبُو قَيْسِ بْنُ ٱلأَسْلَتِ أَحَدُ قَادَةِ ٱلأَوْسِ ٱلَّذِي مَنَعَ قَوْمَهُ مِنْ عَمَلِيَّةِ ٱلإِبَادَةِ ٱلَّتِي ٱعْتَزَمُوا ٱلْقِيَامَ بِهَا ضِدَّ إِخْوَانِهِمُ ٱلْخَزْرَجِ بَعْدَ أَنْ هُزِمُوا فِي تِلْكَ ٱلْمَعْرَكَةِ .

ٱلبعثة ٱلمحمدية

بَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ ٱللهِ فِي مَكَّةَ رَسُولاً لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَخَاتَماً لِلنَّبِيِّينَ، بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ.

صَدَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِٱلدَّعْوَةِ، وَحَمَلَ ٱلأَمَانَةَ، وَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ ٱلْقَلِيلُ، وَأَنْكَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَوَقَفَتْ فِي وَجْهِهِ، وَصَدَّتْ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ خَوْفاً عَلَىٰ زَعَامَتِهَا وَمَصَالِحِهَا وَتَمَسُّكاً بِوَثَنِيَّتِهَا وَدِفَاعاً عَنْ أَصْنَامِهَا وَآلِهَتِهَا، وَوَضَعَتْ كُلَّ ٱلْعَرَاقِيلِ حَتَّىٰ تَحُولَ دُونَ ٱنْتِشَارِ ٱلإِسْلاَمِ، فَآذَتِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِأَجْسَامِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَٱضْطَهَدَتْهُمْ، وَقَاطَعَتْهُمْ، وَحَاصَرَتْهُمْ، وَلَمْ يَنْجُ صَاحِبُ ٱلدَّعْوَةِ ﷺ مِنْ هٰذا، فَقَدْ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَذَىً كَثِيرٍ وَٱضْطِهَادٍ كَبِيرٍ.

كَانَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱلْقَبَائِلِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، يَدْعُوهَا لِلإِسْلاَمِ، وَيُوَضِّحُ لَهَا ٱلطَّرِيقَ، وَهِيَ تُعْرِضُ عَنْهُ وَتَنْأَىٰ مُتَأَثِّرَةً بِجَاهِلِيَّتِهَا وَوَثَنِيَّتِهَا، أَوْ يَسْتَجِيبُ لَهُ أَفْرَادٌ

مِمَّنْ كُتِبَ لَهُ ٱلْخَيْرُ وَٱلسَّعَادَةُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَسْتَقْبِلُ هٰذِهِ ٱلْقَبَائِلَ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، تَتَّصِلُ مَعَهَا قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، تُحَذِّرُهَا مِنْهُ، وَتُخَوِّفُهَا مِنْ دَعْوَتِهِ، وَتَنْشُرُ ٱلدِّعَايَةَ ٱلْكَاذِبَةَ ضِدَّهُ، وَتَتَقَوَّلُ عَلَيْهِ ٱلأَقَاوِيلَ، وَتَرْصُدُ حَرَكَاتِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْقَادِمَةِ إِلَىٰ ٱلْحَجِّ أَيْضاً حَذَراً مِنْ كُلِّ ٱحْتِمَالٍ.

ٱلْتَقَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي ٱلْمَوْسِمِ ٱلَّذِي كَانَ بَعْدَ حَرْبِ بُعَاثٍ بِجَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ حَضَرُوا ٱلْمَوْسِمَ، فَدَعَاهُمْ لِلإِسْلاَمِ، وَكَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِمَّا كَانُوا يَسْمَعُونَهُ وَهُمْ فِي يَثْرِبَ مِنْ يَهُودِهَا عَنْ بِعْثَةِ نَبِيٍّ قَرُبَ وَقْتُ ظُهُورِهِ، يَسْتَظْهِرُ بِهِ ٱلْيَهُودُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ ٱلَّذِي تُوعِدُكُمْ بِهِ ٱلْيَهُودُ، فَلاَ يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلإِسْلاَمِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلاَ قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَنَا ٱللهُ بِكَ فَسَنُقْدِمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ لأَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هٰذَا ٱلدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعْهُمُ ٱللهُ عَلَيْكَ فَلاَ رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ، ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ [1]، فَلَمَّا قَدِمُوا يَثْرِبَ

---

(١) منهم أسعد بن زرارة.

ٱتَّجَهُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ ٱلإِسْلَامِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ إِلاَّ وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ ٱللهِ.

فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَوْسِمُ ٱلثَّانِي وَافَاهُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ ٱثْنَا عَشَرَ رَجُلاً [١] وَٱلْتَقَوْا بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلأُولَىٰ وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَىٰ يَثْرِبَ، أَرْسَلَ مَعَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ.

---

(١) منهم أسعد بن زرارة وعبادة بن الصامت.

إسلام سعد

بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ[1] إِلَىٰ يَثْرِبَ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ ٱلْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ ٱلْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي ٱلدِّينِ ، فَكَانَ يُسَمَّىٰ ٱلْمُقْرِئ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ[2] أَبِي أُمَامَةَ .

وَخَرَجَ أَسْعَدُ مَرَّةً بِمُصْعَبٍ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ[3] ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطاً مِنْ حَوَائِطِ دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، فَجَلَسَا ، وَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي ٱلْأَشْهَلِ ، وَكِلَاهُمَا عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ

---

(١) مصعب بن عمير بن هاشم . من جلة الصحابة وفضلائهم ويكنى أبا عبد الله ، هاجر إلى الحبشة وبعثه الرسول ﷺ إلى يثرب ليعلم المسلمين فيها، وكان يحمل راية المسلمين في بدر وأحد واستشهد يوم أحد رضي الله عنه .

(٢) أسعد بن زرارة من الانصار، من الخزرج، شهد بيعة العقبة، وكان نقيب بني النجار، وكان أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة، مات قبل بدر .

(٣) ظفر: هو كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس، وظفر هو عم عبد الأشهل .

لِأَسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لاَ أَبَا لَكَ، ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا، لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَٱزْجُرْهُمَا وَٱنْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلاَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ عَلِمْتُ، كَفَيْتُكَ ذٰلِكَ، هُوَ ٱبْنُ خَالَتِي، وَلاَ أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَماً، فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ ابْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبِ إِنْ جَلَسَ فَكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ ٱعْتَزِلاَنَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِٱلْإِسْلاَمِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، فَقَالاَ فِي نَفْسَيْهِمَا: وَٱللهِ لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ تَدْخُلُوا فِي هٰذَا ٱلدِينِ؟ قَالاَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنْ ٱتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ. وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا ٱلْآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَٱنْصَرَفَ إِلَىٰ سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلاً، قَالَ: أَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ

ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ ٱلنَّادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ ٱلرَّجُلَيْنِ، فَوَٱللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ.

وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ٱبْنُ خَالَتِكَ، لِيَخْفِرُوكَ. قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ ٱلْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَٱللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَٱللهِ لَوْلاَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هٰذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ، وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ! جَاءَكَ وَٱللهِ سَيِّدٌ، مِنْ وَرَائِهِ قَوْمُهُ، وَإِنْ يَتْبَعْكَ لاَ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمُ ٱثْنَانِ. فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ. وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلْإِسْلاَمَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، قَالاَ: فَعَرَفْنَا وَٱللهِ فِي وَجْهِهِ ٱلإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ

أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ في هٰذَا ٱلدِّينِ قَالاَ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أخذ حربته، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَىٰ نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يا بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا، وَأَوْصَلُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْياً، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ، كَلاَمَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ، حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ. فَمَا أَمْسَىٰ في دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلاَ ٱمْرَأَةٌ إِلاَّ مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ.

وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱنْتَقَلَ مُصْعَبُ ٱبْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ بَيْتِهِ ٱلَّذِي أَصْبَحَ ٱلْمَرْكَزَ ٱلإِسْلاَمِيَّ في ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ بَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُمَا سَيِّدَا ٱلأَوْسِ يَوْمَئِذٍ، يَكْسِرَانِ أَصْنَامَ قَبِيلَتِهِمَا.

أَسْلَمَ سَعْدٌ وَعُمُرُهُ ثَلاَثُونَ عَاماً، وَتَرَكَ دَفْعَةً وَاحِدَةً مَاضِيَهُ ٱلْجَاهِلِيَّ وَٱنْتَقَلَ إِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ دَفْعَةً وَاحِدَةً بِكُلِّ جَوَارِحِهِ وَكَأَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَذَاكَ، وَمَا عُرِفَ عَنْهُ في حَيَاتِهِ ٱلْبَاقِيَةِ أَنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ لَحْظَةٌ فِيهَا جَاهِلِيَّةٌ أَوْ رَوَاسِبُ مِنْهَا.

وَهٰكَذا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ إِنْ صَدَقَ مَعَ ٱللهِ وَأَخْلَصَ أَنْ يَفْعَلَ مَا لاَ يَفْعَلُهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ، وَٱلإِنْسَانُ ٱلْمُخْلِصُ هُوَ ٱلَّذِي يَتَمَثَّلُ فِكْرَتَهُ تَمَثُّلاً صَحِيحاً، فَقَدِ ٱسْتَطَاعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَنْ يُؤَثِّرَ في أَهْلِ يَثْرِبَ جَمِيعاً، وَٱسْتَطَاعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ يَنْقُلَ قَبِيلَةً كَامِلَةً مِنْ ظَلامِ ٱلْجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ ٱلإِسْلاَمِ لِمَا عُرِفَ عَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلأَمَانَةِ وَسَدَادِ ٱلرَّأْيِ وَهٰذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَتَوَفَّرَ في ٱلدَّاعِيَةِ.

وَفي ٱلْمَوْسِمِ ٱلثَّانِي رَجَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ ٱلأَنْصَارِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ ٱلْمَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ ٱلشِّرْكِ، حَتَّىٰ قَدِمُوا مَكَّةَ، فَوَاعَدَوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ ٱلْعَقَبَةَ، دُونَ عِلْمِ قَوْمِهِمْ ٱلْجَاهِلِيِّينَ، فَبَايَعُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلثَّانِيَةِ[1]، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَلاَثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلاً وَٱمْرَأَتَيْنِ، فَٱخْتَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنْهُمْ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً[2] وَعَادَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ إِلَىٰ بَلَدِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَ

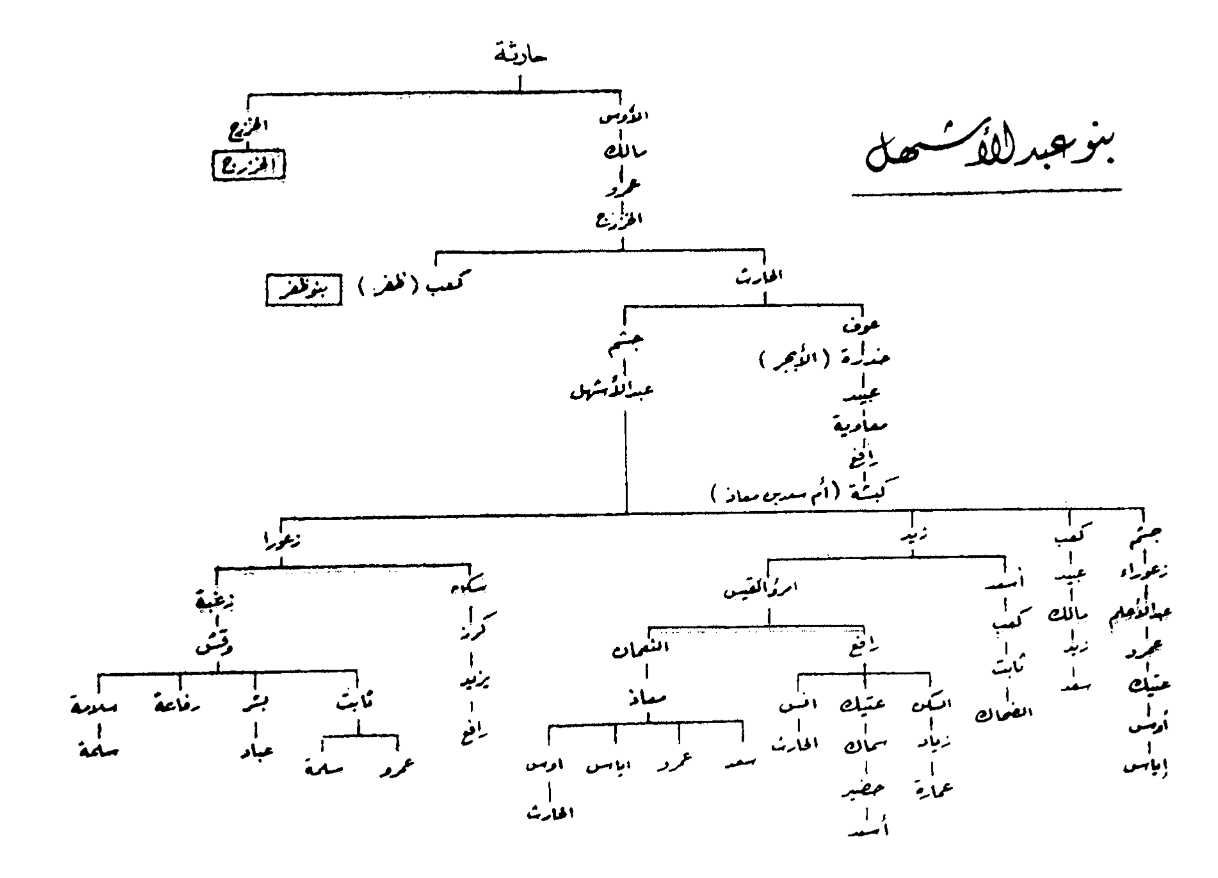
---

(١) حضر بيعة العقبة الثانية: العباس بن عبد المطلب ليستوثق لابن أخيه محمد ﷺ ولم يكن العباس قد اسلم بعد، وإنما كان على دين آبائه.

(٢) منهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، وعبادة ابن الصامت من الخزرج.

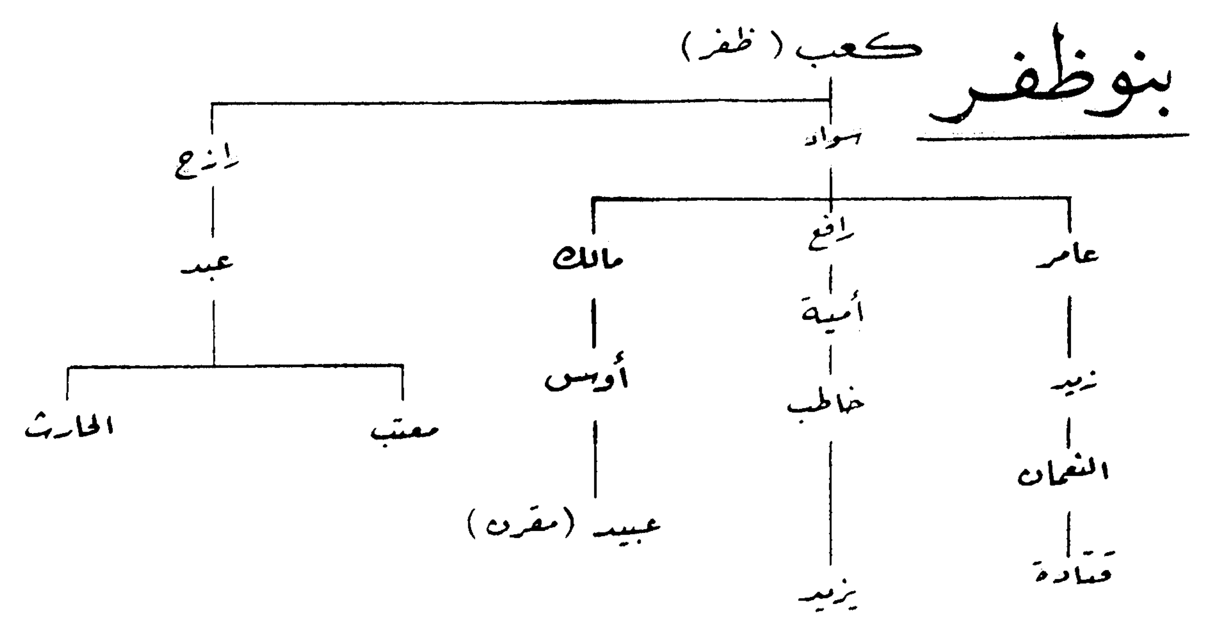
ومنهم: أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة من الأوس.

ٱلْخَبَرُ قُرَيْشاً، فَلَحِقُوا بِهِمْ، وَأَخَذُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَكَانَ عَبْدُ ٱللهِ بن أُبَيِّ بْن سَلُولٍ قَدْ أَنْكَرَ مِنْ قَبْلُ، حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْئاً.



بنو عبد الأشهل
حارثة
الأوس
الخزرج
الخزرج
مالك
عمرو
الخزرج
الحارث
كعب (ظفر)
بنو ظفر
عوف
خدارة (الأبجر)
عبيد
معاوية
رافع
كبشة (أم سعد بن معاذ)
جشم
عبد الأشهل
جشم
زعوراء
عمرو
عتيك
أوس
إياس
كعب
عبيد
مالك
زيد
سعد
زيد
أسعد
كعب
ثابت
الضحاك
امرؤ القيس
رافع
السكن
زياد
عمارة
عتيك
سماك
حضير
أسيد
أنس
الحارث
النعمان
معاذ
سعد
عمرو
إياس
أوس
الحارث
زعورا
كرز
يزيد
رافع
زغبة
وقش
ثابت
عمرو
سلمة
بشر
عباد
رفاعة
سلامة
سلمة

بنو ظفر



كعب (ظفر)
سواد
زاعج
عامر
رافع
مالك
زيد
أمية
أوس
النعمان
خاطب
عبيد (مقرن)
قتادة
يزيد
عبد
معتب
الحارث

عُنصُرُ الخَيْر

إنَّ في ٱلنَّفْس ٱلْبَشَرِيَّةِ عُنصُرَ خَيْرٍ كَمَا فِيها عُنْصُرُ شَرٍّ «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا»[1] فَمَنْ زَكَّىٰ ٱلْخَيْرَ فِيهَا قَوِيَ، وَأَصْبَحَ ظَاهِراً عَلَيْهَا، بَلْ وَسِمَةً رَئِيسِيَّةً مِنْ سِمَاتِهَا وَكَانَ صَاحِبُهَا خَيِّراً، وَمَنْ قَوَّىٰ عُنْصُرَ ٱلشَّرِّ، غَلَبَهُ ٱلْهَوَىٰ، وَٱسْتَبَدَّتْ بِهِ ٱلشَّهْوَةُ، وَأَصْبَحَ ٱلشَّرُّ مِنْ عَلاَمَاتِ تِلْكَ ٱلنَّفْسِ وَصِفَاتِهَا، وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ شِرِّيراً، وَمَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ فَاعِلاً، وَلِلْحَقِّ مُتَّبِعاً، وَنَمَّىٰ هٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ فِي أَبْنَائِهِ، وَأَوْرَثَهَا لأَحْفَادِهِ، غَلَبَتْ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلأُسْرَةِ ظَاهِرَةُ ٱلْخَيْرِ وَٱتِّبَاعُ ٱلْمَعْرُوفِ، وَيَسْهُلُ عَلَى ٱلنَّفْسِ مِنْهَا ٱلْوُصُولُ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ بِشَكْلٍ سَرِيعٍ وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَحِيدَ عَنْهُ مَا دَامَتْ قَدْ عَرَفَتْهُ، وَتَضْرِبُ بِكُلِّ مَا يَقِفُ أَمَامَ سَيْرِهَا فِي سَبِيلِ ٱلْحَقِّ. وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ٱلْبَاطِلِ أَبَداً؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَإِنَّهُ لَشَدِيدٌ عَلَىٰ ٱلإِنْسَانِ مَا لَمْ يُعَوَّدْ.

---

(١) الشمس الآيات: ٧ ـ ٨ ـ ٩ .

وَقَدْ تَكُونُ أُسْرَةُ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ بَيْنَ ٱلأَنْصَارِ، مِنْ هٰذِهِ ٱلأُسَرِ ٱلَّتِي تَسْعَىٰ وَرَاءَ ٱلْحَقِّ، وَتَتْبَعُ لَهُ، وتَتَبَنَّاهُ بِقُوَّةٍ، وَتُدَافِعُ عَنْهُ بِشِدَّةٍ، وَبِصِفَةٍ خَاصَّةٍ أُسْرَةُ مُعَاذِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ وَالِدِ سَعْدٍ، فَقَدْ رَأَيْنَا ٱتِّبَاعَ سَعْدٍ لِلْحَقِّ وَدُخُولَهُ فِي ٱلإِسْلاَمِ مُجَرَّدَ سَمَاعِهِ حَدِيثَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، ثُمَّ ٱلدَّعْوَةَ لَهُ بِحَرَارَةٍ وَقُوَّةٍ مَا دَامَ قَدِ ٱعْتَقَدَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، وَكَيْفَ أَنَّ أُسْرَتَهُ قَدْ وَافَقَتْهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَٱعْتَنَقَتْ جَمِيعُهَا ٱلإِسْلاَمَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِيهَا مُنَافِقٌ، أَوْ إِنْسَانٌ غَيْرُ مُسْلِمٍ، رَجُلاً كَانَ أَوِ ٱمْرَأَةً، وَهٰذَا مَا لاَ تَخْلُو مِنْهُ أُسْرَةٌ ثَانِيَةٌ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ إِنَّ مَوْقِفَ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ هٰذَا كَانَ بَعْدَ ٱنْتِشَارِ ٱلإِسْلاَمِ فِي يَثْرِبَ فَلْنَنْظُرْ إِلَىٰ أَخِيهِ إِيَاسٍ ٱلَّذِي قَبِلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ صِغَرِهِ وَعَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ رَفْضِهِ مِنْ بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ ٱلْوَفْدِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَهُمْ، وَثَبَتَ عَلَىٰ ذٰلِكَ وَهُوَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْدِيَ شَيْئاً، أَوْ يَضْغَطَ عَلَىٰ أَعْضَاءِ ٱلْوَفْدِ، فَقَدْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ كَمَا أَنَّ أَهْلَ يَثْرِبَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَبَرُ ٱلدَّعْوَةِ ٱلْجَدِيدَةِ بَعْدُ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو ٱلْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ[1] مَكَّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ، فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ ٱلْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ،

---

(١) أنس بن رافع: هو ابن عم معاذ والد سعد.

عَلَىٰ قَوْمِهِمْ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ ، فَسَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، فَأَتَاهُمْ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ فَقَالُوا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنا رَسُولُ ٱللهِ، بَعَثَنِي إِلَىٰ ٱلْعِبَادِ، أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَعْبُدُوا ٱللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ٱلْكِتَابَ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ ٱلإِسْلاَمَ، وَتَلاَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنَ فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ غُلاَماً حَدَثاً: أَيْ قَوْمُ هٰذَا وَٱللهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ، فَأَخَذَ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ ٱلْبَطْحَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسٍ ، وَقَالَ: دَعْنَا مِنْكَ فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هٰذَا ، فَصَمَتَ إِيَاسٌ، وَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، وَٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ، وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ حَضَرَ مَوْتَهُ، أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ وَيَحْمَدُ ٱللهَ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّىٰ مَاتَ، فَمَا كَانُوا يَشُكُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مُسْلِماً، لَقَدْ كَانَ ٱسْتَشْعَرَ ٱلإِسْلاَمَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَجْلِسِ .

وَلْنَنْظُرْ إِلَىٰ أَخِيهِ ٱلآخَرِ عَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ يُدافِعُ عَنِ ٱلْحَقِّ فِي أُحُدٍ حَتَّىٰ ٱسْتُشْهِدَ، وَٱبْنِ أَخِيهِ ٱلْحَارِثِ بْنِ أَوْسِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَهُوَ يَجُولُ فِي بَدْرٍ ثُمَّ فِي أُحُدٍ يُقَاتِلُ دُونَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ حَتَّىٰ ٱسْتُشْهِدَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

وَمَرَّةً أُخْرَىٰ نَقِفَ أَمَامَ أُمِّ سَعْدٍ وَقَدْ خَرَجَتْ تَسْتَقْبِلُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ. رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يُعَزِّيهَا بِٱبْنِهَا عَمْرٍو فَتُجِيبُ أَمَا وَقَدْ رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ فَقَدِ ٱشْتَوَيْتُ عِنْدِي ٱلْمُصِيبَةُ أَيْ قَلَّتْ وَهَانَتْ، وَكَانَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَأْخُذُ بِلِجَامِ فَرَسِ رَسُولِ ٱللهِ، لاَ يُبَالِي هُوَ وَأُمُّهُ أَمَاتَ أَهْلُهُ أَمْ عَاشُوا مَا دامَتِ ٱلدَّعْوَةُ بَاقِيَةً بِبَقَاءِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَهُوَ صَاحِبُ ٱلدَّعْوَةِ ٱلَّتِي عَنْهَا يُدافِعُونَ، وَمِنْ أَجْلِهَا يَحْيَوْنَ، وَفِي سَبِيلِهَا يَمُوتُونَ، وَعَلَيْهَا يَلْقَوْنَ وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَىٰ. وَهٰذِهِ طَبِيعَةُ أَهْلِ ٱلدَّعَوَاتِ وَٱلْمَبَادِىءِ ٱلصَّادِقِينَ فِي دَعْوَتِهِمُ ٱلْمُخْلِصِينَ فِي سَيْرِهِمْ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ إِذَا مَاتَ لَهُمْ مُحِبٌّ نَسَوْا مَا حَوْلَهُمْ وَأَضَاعُوا طَرِيقَهُمْ، وَفَقَدُوا رُشْدَهُمْ، أَمَّا ٱلْمُسْلِمُ ٱلصَّادِقُ فَلاَ يَعْرِفُ إِلاَّ دَعْوَتَهُ وَمَنْ يُمَثِّلُهَا وَهٰكَذَا كَانَتْ أُسْرَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَغْلِبُ عَلَيْهَا عُنْصُرُ ٱلْخَيْرِ وَٱلْحَقِّ.

وَكَمَا كَانَتْ أُمُّ سَعْدٍ كَانَتْ زَوْجُهُ وَهِيَ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَعَمَّةُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ. فَقَدْ بايَعَتْ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَصَدَقَتْ، وَصَبَرَتْ عَلَىٰ ٱلْبَلاَءِ. وَكَذٰلِكَ كَانَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي مُعْتَرَكِ ٱلْحَيَاةِ ٱلسِّيَاسِيَّةِ عِنْدَمَا ٱخْتَلَطَ ٱلأَمْرُ

وَضَاعَتْ مَعَالِمُ ٱلْحَقِّ فَٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ جُنُوداً مَجْهُولِينَ فِي سَبِيلِ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ، فَإِنْ جَهِلُوهُ ٱعْتَزَلُوا.

نَسَبُ سَعْدٍ وَحَيَاتُهُ

هُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ ابْنِ عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ ، وَيُكْنَى أَبَا عَمْرٍو ، وَأُمُّهُ كَبْشَةُ[1] بِنْتُ رَافِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ٱلأَبْجَرِ[2] وَزَوْجُهُ هِنْدُ[3] بِنْتُ سِمَاكِ ابْنِ عَتِيكِ بْنِ رَافِعِ بْنِ ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَهِيَ عَمَّةُ (أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ) ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْمَعْرُوفِ وَأَحَدِ سَادَاتِ ٱلأَوْسِ . وُلِدَ سَعْدٌ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ قَبْلَ ٱلْبِعْثَةِ ، وَبِذَا يَكُونُ أَصْغَرَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِإِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً .

أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَبْلَ ٱلْهِجْرَةِ بِعَامَيْنِ ، وَطَلَبَ مِنْ مُصْعَبٍ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى بَيْتِهِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ يَنْزِلُ فِي مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ٱبْنِ خَالَتِهِ وَمِنْ قَبِيلَةِ ٱلْخَزْرَجِ ،

---

(١) وهي من اللواتي بايعن رسول الله ﷺ .

(٢) الأبجر: هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

(٣) هند: وقد بايعت رسول الله .

وَذٰلِكَ لأَنَّ أُسْرَتَهُ قَدْ أَسْلَمَتْ جَمِيعاً ، فَكَانَ ٱلْعَمَلُ لِمُصْعَبٍ أَسْهَلَ كَمَا أَنَّ هٰذِهِ ٱلأُسْرَةَ ٱلْمُسْلِمَةَ حَدِيثاً بِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَفَقُّهٍ فِي ٱلدِّينِ وَقِرَاءَةِ ٱلقُرْآن ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُقْرِىءُ قَرِيباً مِنْهَا ، كَمَا أَنَّ سَعْداً يُرِيدُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَىٰ هٰذَا ٱلدَّاعِيَةِ بِنَفْسِهِ .

ٱسْتَقْبَلَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَوْمَ ٱلْهِجْرَةِ، وَآخَىٰ ٱلرَّسُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاحِ ، حَضَرَ بَدْراً ، وَشَهِدَ أُحُداً ، وَأُصِيبَ فِي ٱلْخَنْدَقِ ، وَحَكَمَ عَلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ وَهُمْ حُلَفَاءُ ٱلأَوْسِ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ، وَمَاتَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مُتَأَثِّراً بِجُرْحِهِ ٱلَّذِي أَصَابَهُ يَوْمَ ٱلْخَنْدَقِ ، فَقَضَىٰ شَهِيداً عَامَ خَمْسَةٍ لِلْهِجْرَةِ . وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعَةً وَثَلاثِينَ عَاماً، تَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ، عُرِفَ مِنْهُمْ وَٱشْتَهَرَ: عَمْرو ، وَعَبْدُ ٱللهِ .

صِفَاتُ سَعْدٍ

كَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ رَجُلاً جَسِيماً جَمِيلاً طَوِيلاً، أَبْيَضَ ٱللَّوْنِ، مُحَبَّباً إِلَى ٱلنَّفْسِ، وَكَانَ هَادِئاً قَلِيلَ ٱلْكَلاَمِ حَتَّىٰ إِذَا وَجَدَ أَنَّ وَعْداً قَدْ أُخْلِفَ أَوْ حَقّاً قَدْ هُضِمَ أَوْ أَنَّ ٱلْكَلاَمَ ٱلْمُوَجَّهَ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ هُوَ أَوْ قَوْمُهُ تَكَلَّمَ بِحَرَارَةٍ، فَيَخْرُجُ كَلاَمُهُ قَوِيّاً فِيهِ جَمَالُ ٱللَّفْظِ وَقُوَّةُ ٱلتَّعْبِيرِ وَصِدْقُ ٱلْعَاطِفَةِ، كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ إِخْلاَصُهُ وَتَفَانِيهِ فِي سَبِيلِ مَا يَدْعُو لَهُ، وَفِي سَبِيلِ مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، فَكَانَتْ فِي طَبْعِهِ حِدَّةٌ، كَمَا كَانَتْ فِيهِ غَيْرَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، شَدِيدَةٌ عَلَىٰ ٱلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ وَصَاحِبِهَا عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، لاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةً لاَ تَضَعُ ٱلْحَقَّ فِي نِصَابِهِ أَوْ لاَ تُعْطِي لِلدَّعْوَةِ قِيمَتَهَا، وَهٰذَا مَا يَظْهَرُ جَلِيّاً وَاضِحاً فِي كُلِّ مَوَاقِفِهِ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم.

كَانَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَيِّدَ ٱلأَوْسِ مُنْذُ بِدَايَةِ شَبَابِهِ لاَ يُنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ، وَوُجُودِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَمِنَ ٱلْمَعْلُومِ أَنَّهُ فِي ٱلْمُجْتَمَعَاتِ ٱلْقَبَلِيَّةِ يَلْعَبُ

ٱلسّنِّ دَوْراً كَبيراً، وَمَا هٰذِهِ ٱلسِّيَادَةُ إلاَّ بِسَبَبِ مَا أُوتِيَ مِنْ رَجَاحَةِ ٱلْعَقْل ، وقُوَّةِ ٱلتَّفْكِيرِ ، وَسَدَادِ ٱلرَّأْيِ وَثَبَاتِ ٱلْقَلْبِ، وَٱلشَّجَاعَةِ في ٱلْمَعْرَكَةِ وَعِنْدَ ٱلنَّوائِبِ.

وَهُوَ سَيِّدُ ٱلأَنْصَارِ جَمِيعاً وَمُقَامُهُ بَيْنَهُمْ كَمُقَامِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصّدِيق بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ.

الهِجْـرَةُ وَٱلمؤاخَـاةُ

لَمْ يَجدْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ في مَكَّةَ ٱلَّتِي تَحكُمُهَا ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْحِمَايَةَ ٱلَّتِي يَنْشُدُهَا لأَصْحَابهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ تَطَالُهُمْ يَدُ قُرَيْشٍ في ٱلْعَذَاب أَو ٱلْفِتْنَةِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ يَثْربَ ٱلَّتِي بَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ، فَٱمْتَثَلَ ٱلصَّحَابَةُ، وَهَاجَرُوا في سَبيلِ ٱللهِ، وَتَركُوا في مَكَّةَ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ في سَبيلِ أَنْ يَتَمَتَّعُوا في ظِلِّ حَيَاةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ وَهُوَ أَسْمَىٰ شَيْءٍ في ٱلْحَيَاةِ بَلْ هُوَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْفَاضِلَةُ، وَأَنْ يَعْبُدُوا هُنَاكَ ٱللهَ دُونَ أَنْ يَقِفَ مَانِعٌ يَحُولُ دُونَ ذٰلِكَ؛ فَإِنَّ سَاعَةً للّهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وَأَخِيراً هَاجَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَٱسْتَقْبَلَهُ أَهلُ يَثْرِبَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ بِٱسْتِقْبَال حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ بَجَانِبِ رَسُولِهِمْ ٱلْكَرِيمِ، طَالَمَا كَانُوا يَحْلُمُونَ بِهَا، وَعُرِفَتْ مَدِينَتُهُمْ يَثْربُ بِٱسْمِ (ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ) أَيْ ٱلَّتِي أُنِيرَتْ بِٱلْخَيْرِ بِقُدُومِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ.

وَكَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ رَسُولُ ٱللهُ ﷺ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَىٰ

ٱلْمَدِينَةِ أَنْ بَنَىٰ ٱلْمَسْجِدَ ٱلَّذِي أَضْحَى نَادِياً لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً بَعْدَ أَنْ كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ أَوْ بَطْنٍ أَوْ فَخِذٍ أَوْ فَرْعٍ نَادٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَسْمُرُونَ بِهِ، وَيَتَبَادَلُونَ ٱلرَّأْيَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَهٰكَذا فَقَدْ تَوَحَّدَتِ ٱلْقَبَائِلُ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً.

وَبَعْدَ ذٰلِكَ آخَىٰ ٱلرَّسُولُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ، وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرِينَ أَوْ أَنْصَارٍ، أَوْ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ وَلِذَا فَلَيْسَتْ هٰذِهِ ٱلْمُؤَاخَاةُ لِأَسْبَابٍ ٱقْتِصَادِيَّةٍ كَمَا يَحْلُو لِلْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَجْعَلُوهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِتَوْحِيدِ قُلُوبِ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ ٱلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ يَهُودَ جِيرَانِهِمْ فِي ٱلسَّكَنِ، وَلِيَكُونَ ٱلْمُسْلِمُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ.

وَلٰكِنْ بَدَتْ بَعْضُ ٱلْجَوَانِبِ ٱلِاقْتِصَادِيَّةِ مِنْ بَابِ ٱلْأُخُوَّةِ لَا مِنْ بَابِ ٱلْمَادَّةِ وَذٰلِكَ عِنْدَمَا تَكُونُ ٱلْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ آخَىٰ بَيْنَ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدٌ لِعَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ: إِنِّي أَكْثَرُ ٱلْأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمْ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِيَ

ٱمْرَأَتَان ، فَٱنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا ، فَإِذَا ٱنْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ : بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلٰكِنْ دُلَّنِي عَلَىٰ ٱلسُّوق .

وَآخَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاح (١) فَكَانَتِ ٱلْعَلاَقَةُ بَيْنَهُمَا عَلاَقَةَ ٱلأَخِ مَعَ أَخِيهِ ٱلأَخِ فِي ٱللهِ لاَ فِي ٱلدَّمِ أَو ٱلْجِنْسِ أَو ٱللُّغَةِ أَو ٱلأَرْضِ أَوِ ٱلْمَصْلَحَةِ وَٱلْمَنْفَعَةِ، أَوْ أَيَّةِ أُخُوَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا أَوْ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي ٱلْمَاضِي أَو ٱلْحَاضِرِ أَو ٱلْمُسْتَقْبَلِ ٱلْبَعِيدِ، فَإِنَّ ٱلأُخُوَّةَ فِي ٱللهِ تَسْمُو عَلَىٰ كُلِّ رَابِطَةٍ أَوْ صِلَةٍ أَوْ نَسَبٍ، وَلَمْ تَكُنْ هٰذِهِ ٱلْمُؤَاخَاةُ بِنَاءً عَلَىٰ ٱلظُّرُوفِ ٱلَّتِي ٱقْتَضَتْ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا مُؤَاخَاةٌ أَمَرَ ٱللهُ بِهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ، وَجَعَلَهَا ٱلأُخُوَّةَ ٱلْوَحِيدَةَ لاَ أُخُوَّةَ غَيْرَهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

وَبَعْدَ أَنْ تَوَحَّدَتِ ٱلْقُلُوبُ قُلُوبُ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَادَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَهُودَ لِتَكُونَ ٱلْمَدِينَةُ كُلُّهَا

---

(١) ويروى أن رسول الله ﷺ قد آخى بين سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص والله أعلم .

كِتْلَةً وَاحِدَةً تَسْتَطِيعُ ٱلْوُقُوفَ أَمَامَ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهَا فِيمَا إِذَا فَكَّرَتْ في مُدَاهَمَتِهَا، وَحَتَّىٰ لاَ تَبْقَىٰ ثُغْرَةٌ يَسْتَطِيعُ ٱلْعَدُوُّ أَنْ يَنْفُذَ مِنْ خِلاَلِهَا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ.

سَعْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ
فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ

سَعِدَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِٱلْحَيَاةِ ٱلْفَاضِلَةِ مَعَ رَسُولِهِمُ ٱلْكَرِيمِ ﷺ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ هَدَفِهِمْ بَعْدُ، فَلاَ ٱلْحُصُولُ عَلَى ٱلْمَالِ هُوَ غَايَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحَيَاةِ، وَلاَ ٱلرَّاحَةُ ٱلْبَدَنِيَّةُ، وَلاَ تَمَلُّكُ ٱلْمَتَاعِ وَٱلْوُصُولُ إِلَىٰ ٱلرَّغَبَاتِ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُمْ تَطْبِيقُ حُكْمِ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ، وَهٰذَا لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِٱلجِهَادِ، وَلَنْ تَكُونَ دَعْوَةٌ آنَذَاكَ إِلاَّ بِإِزَالَةِ أَكْبَرِ قُوَّةٍ تَقِفُ فِي وَجْهِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهِيَ قُرَيْشٌ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلْقِتَالُ قَدْ شُرِعَ بَعْدُ.

شُرِعَ ٱلْقِتَالُ بِقَوْلِ ٱللهِ: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللهِ كَثِيراً، وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ ٱللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ، وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ. وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ

ٱلأُمُورِ(١) » ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ(٢) » أَيّ حَتَّىٰ لاَ يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، وَلاَ يُعْبَدَ غَيْرُ ٱللهِ، وَيَكُونَ ٱلدِّينُ مَنْهَجَ ٱلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ لاَ صِلَةً فَقَطْ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَرَبِّهِ فَجَهَّزَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَهُوَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱلْغَزَوَاتِ وَٱلسَّرَايَا ٱلْوَاحِدَةَ تِلْوَ ٱلأُخْرَىٰ لِهٰذَا ٱلْغَرَضِ وَهُوَ مُنَازَلَةُ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ ٱلَّتِي تَغْدُو وَتَرُوحُ إِلَىٰ ٱلشَّامِ وَفِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ لإِثْبَاتِ ٱلْكِيَانِ ٱلإِسْلاَمِيِّ، وَإِجْبَارِ قُرَيْشٍ عَلَىٰ ٱلاعْتِرَافِ بِهٰذَا ٱلْكِيَانِ، وَلِتَسْمَعَ ٱلْقَبَائِلُ بِٱلإِسْلامِ وَتَعْلَمَ مَرْكَزَ دَوْلَتِهِ، فَتَسْأَلَ، وَتَصِلَ إِلَىٰ ٱلْحَقِيقَةِ فَيَنْتَشِرَ ٱلإِسْلاَمُ، فَإِنَّ أَيَّةَ فِكْرَةٍ لَيْسَتْ لَهَا قُوَّةٌ تَدْعَمُهَا، فَإِنَّ ذِكْرَهَا لَنْ يَرْتَفِعَ وَلَنْ يُقْبِلَ ٱلنَّاسُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ عَرَفَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْمَنَاطِقَ ٱلَّتِي حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ وَبِخَاصَّةٍ ٱلْجِهَاتِ ٱلْقَرِيبَةِ مِنْهَا حَيْثُ تَمُرُّ قَوَافِلُ قُرَيْشٍ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ نُقْطَةَ ٱلتَّمَاسِّ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، وَسَتَدُورُ فِيهَا رَحَىٰ ٱلْحَرْبِ ٱلْمُنْتَظَرَةِ، لِذَا لاَ بُدَّ مِنْ دِرَاسَتِهَا وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهَا، وَٱلاتِّصَالِ بِقَبَائِلِهَا وَمُحَاوَلَةِ

---

(١) الحج الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) البقرة الآية: ١٩٣.

كَسْبِهِمْ إِلَىٰ ٱلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلامِيَّةِ أَوْ إِلَىٰ صَفِّهِمْ أَوْ عَلَىٰ ٱلأَقَلِّ وُقُوفِهِمْ عَلَىٰ ٱلْحِيَادِ فِيمَا إِذَا جَرَتِ ٱلْحَرْبُ فِي دِيَارِهِمْ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ ، وَلِهٰذَا كَانَتْ غَايَاتٌ كَثِيرَةٌ لِهٰذِهِ ٱلْغَزَوَاتِ وَٱلسَّرَايَا ٱلَّتِي سَبَقَتْ غَزْوَةَ بَدْرٍ. وَكَانَتْ إِحْدَىٰ هٰذِهِ ٱلْقَوَافِلِ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَسَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَعَ مِائَتَيْ رَاكِبٍ لِلتَّعَرُّضِ لَهَا، وَلٰكِنْ مَا إِنْ وَصَلَ ٱلْعَشِيرَةَ حَتَّىٰ عَلِمَ أَنَّهَا مَرَّتْ قَبْلَ يَوْمٍ ، وَلاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُدْرِكَهَا ، فَعَادَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ أَبْقَىٰ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا يَرْصُدَانِهَا حَتَّىٰ تَعُودَ، فَقَامَا بِٱلأَمْرِ، وَلَمَّا أَدْرَكَا عَوْدَتَهَا، أَخْبَرَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ .

دَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْمُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ ٱلْقَافِلَةِ بِقَوْلِهِ:

« هٰذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَٱخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ ٱللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا » وَهٰذِهِ ٱلدَّعْوَةُ لَمْ تَكُنْ إِجْبَاراً لِيَخْرُجَ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً وَلاَ ٱسْتِنْفَاراً لِيَضَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَخْيِيراً فَإِنَّ عَدَدَ ٱلرُّكْبَانِ فِي ٱلْقَافِلَةِ لاَ يَزِيدُ عَلَىٰ ٱلأَرْبَعِينَ، وَلاَ يَحْتَاجُ ٱلتَّغَلُّبُ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ قُوَّةٍ كَبِيرَةٍ، كُلُّ ذٰلِكَ لأَمْرٍ أَرَادَهُ ٱللهُ حَتَّىٰ لاَ يَخْرُجَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِأَجْمَعِهِمْ وَعِنْدَهَا

تَتَكَافَأَ ٱلْقُوَّتَان ، وَلاَ يَكُونُ لِلنَّصرِ أَهَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَصَدىً عَظِيمٌ حَيْثُ تُحْتَمَلُ ٱلْغَلَبَةُ وَلاَ يَظْهَرُ تَأْيِيدُ ٱللهِ وَمَدَدُهُ، وَأَثَرُ ٱلاْيمَانِ وَقُوَّتُهُ .

خَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَقُودُهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، وَلاَ يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَىٰ ثَلاَثِمِائَةٍ إلاَّ قَلِيلاً ، وَٱعْتَقَدُوا أَنَّ ٱلْخُرُوجَ لَيْسَ إلاَّ لِلْقَافِلَةِ. وَشَعَرَتِ ٱلْقَافِلَةُ بِخُرُوجِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَٱسْتَنْجَدَتْ بِقُرَيْشٍ ، وَغَيَّرَتْ طَرِيقَهَا فَنَجَتْ، بَيْنَمَا جَاءَتْ قُرَيْشٌ بِقُوَّتِهَا وَجَبَرُوتِهَا وَخُيَلاَئِهَا لِتُنْقِذَ ٱلْقَافِلَةَ، وَتُؤَدِّبَ ٱلْمُسْلِمِينَ ـ عَلَىٰ زَعْمِهَا ـ .

أَتَىٰ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ خَبَرُ سَيْرِ قُرَيْشٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهَا ٱلْحَرْبُ، وَكَانَ يُرِيدُهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنْ صَحْبِهِ .

فَٱسْتَشَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلنَّاسَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ، وَأَحْسَنَ. ثُمَّ قَامَ ٱلْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو[1] فَقَالَ: يا

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة العامري. ويقال له: المقداد بن الاسود الكندي الحضرمي، لأن أباه أصاب دماً في قومه، فلحق بحضرموت، وحالف كندة، وتزوج منهم أمرأة، فولدت له المقداد، ولما كبر المقداد تشاجر مع أبي شمر بن حجر الكندي فضرب المقداد رجله بالسيف، وهرب إلى مكة، وحالف =

رَسُولَ ٱللهِ ٱمْضِ لِمَا أَرَاكَ ٱللهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَٱللهِ لاَ نَقُولُ لَكَ مَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَا هٰاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلٰكِنِ: ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَىٰ بَرْكِ ٱلْغِمَادِ[١] لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّىٰ تَبْلُغَهُ[٢].

فَقَالَ لَهُ ٱلرَّسُولُ ﷺ خَيْراً، وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ـ وَإِنَّمَا يُرِيدُ ٱلأَنْصَارَ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ، وَأَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِٱلْعَقَبَةِ قَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ دِيَارِنَا. فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ ذِمَّتُنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فَخَشِيَ رَسُولُ ٱللهِ أَنْ يَفْهَمَ ٱلأَنْصَارُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْحَرْبَ خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ، وَلَيْسُوا مُلْزَمِينَ بِٱلْقِتَالِ، أَوْ يَرَوْا أَنَّهُمْ خَرَجُوا لِلْعِيرِ، وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ ٱسْتِعْدَادٍ لِهٰذِهِ ٱلْمَعْرَكَةِ غَيْرِ ٱلْمُتَكَافِئَةِ، فَلَمَّا قَالَ

= الاسود بن عبد يغوث فتبناه الاسود ولذلك قيل له ابن الاسود وغلب عليه ذلك ولما نزلت (ادعوهم لآبائهم) سمي المقداد بن عمرو. هاجر الهجرتين وكان مقداماً رضي الله عنه، توفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة.

(١) برك الغماد: مكان في آخر الجزيرة في بلاد اليمن.

(٢) وفي رواية أخرى، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك.

ذٰلِكَ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ: وَٱللّٰهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يا رَسُولَ ٱللهِ؟ قَالَ: أَجَلْ، فَقَالَ سَعْدٌ: يا رَسُولَ ٱللهِ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ ٱلْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَىٰ ذٰلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَىٰ ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ لَكَ، فَٱمْضِ يا رَسُولَ ٱللهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ، لَوِ ٱسْتَعْرَضْتَ بِنَا ٱلْبَحْرَ فَخُضْتَهُ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا غداً، إِنَّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدْقٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ، لَعَلَّ ٱللهَ يُرِيكَ مِنَّا ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ ٱللهِ[1].

فَسُرَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذٰلِكَ ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ ٱلطَّائِفَتَيْنِ، وَٱللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ ٱلْقَوْمِ[2].

وَقَفَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ قَبْلَ

---

(١) وفي رواية أخرى: لعلك أن تكون يا رسول الله قد خرجت لأمر، وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض. فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت خذ من أموالنا ما شئت، واعطنا ما شئت، وما أخذت منا، كان أحب إلينا مما تركت.

(٢) روى مسلم أن رسول الله ﷺ كان يقول هذا مصرع فلان ويضع يده هاهنا وهاهنا، قال فما مات أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

ٱلْمَعْرَكَةِ مُخَاطِباً رَسُولَ ٱللهِ ﷺ: يا نَبِيَّ ٱللهِ، أَلاَ نَبْنِي لَكَ عَرِيشاً[1] تَكُونُ فِيهِ وَتَقْعُدُ عِنْدَكَ رَكَائِبُكَ ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا ٱللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا كَانَ ذٰلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ ٱلأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يا نَبِيَّ ٱللهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُباً لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ ٱللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ[2]. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ خَيْراً، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ.

يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ طَاعَتُهُ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَعَدَمُ تَخَوُّفِهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ، وَأَنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِ لاَ مَحَالَةَ وَذٰلِكَ فِي سَبِيلِ ٱلدَّعْوَةِ، وَلٰكِنَّهُ إِنْ خَافَ فَإِنَّمَا

---

(١) العريش: شبه خيمة يستظل به.

(٢) كان ممن تخلف عن بدر أحد سادات الاوس وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه، وقد اسرع للقاء الرسول ﷺ في الروحاء يهنئه بالنصر، وقد قال له معتذراً: والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً. ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال له الرسول ﷺ: صدقت وكان رضي الله عنه مقداماً، فقد شهد أحداً وثبت، وجرح سبع جراحات وتوفي سنة إحدى وعشرين للهجرة.

يَخَافُ عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِ ٱلإِسْلَامِ ، فَيَحْرِصُ كُلَّ ٱلْحِرْصِ عَلَىٰ حَيَاةِ رَسُولِهِ ٱلْكَرِيمِ ، فَيَرْغَبُ فِي إِنْقَاذِهِ وَٱلْقِتَالِ دُونَهُ حَتَّىٰ تَسْتَمِرَّ ٱلدَّعْوَةُ وَيَنْفُذَ أَمْرُ ٱللهِ .

وَبِنَاءً عَلَىٰ ٱقْتِرَاحِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بُنِيَ ٱلْعَرِيشُ، وَتَمَّ إِنْشَاءُ حَرَسٍ لِقِيَادَةِ ٱلرَّسُولِ ﷺ ، وَهِيَ فِرْقَةٌ تَمَّ ٱخْتِيَارُهَا مِنْ فِتْيَانِ ٱلأَنْصَارِ، وَتَوَلَّىٰ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قِيَادَتَهَا بِنَفْسِهِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَىٰ سَلَامَةِ ٱلْحِمَايَةِ .

وَدَارَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ وَحَمِيَ ٱلْوَطِيسُ، وَأَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِجُنْدٍ لَمْ يَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا، وَكَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ، وَفَرَّتْ قُرَيْشٌ وَوَضَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَيْدِيهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ، وَرَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي ٱلْعَرِيشِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَائِمٌ عَلَىٰ بَابِ ٱلْعَرِيشِ ، مُتَوَشِّحُ ٱلسَّيْفِ، فِي نَفَرٍ مِنَ ٱلأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ ٱلرَّسُولَ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ ٱلْعَدُوِّ، وَرَأَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي وَجْهِ سَعْدٍ ٱلْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ ٱلنَّاسُ مِنْ أَسْرِ ٱلرِّجَالِ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ: وَٱللهِ لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ ٱلنَّاسُ، قَالَ: أَجَلْ وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ، كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا ٱللهُ بِأَهْلِ ٱلشِّرْكِ، فَكَانَ ٱلإِثْخَانُ فِي ٱلْقَتْلِ بِأَهْلِ

ٱلشِّرْكِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنِ ٱسْتِبْقَاءِ ٱلرِّجَالِ .

إِنَّهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ رِجَالاً تَمَكَّنَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ، وَبَقُوا أَحْيَاءً، وَقَدْ حَارَبُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ وَقَاتَلُوهُ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ إِلاَّ أَنْ يَرَىٰ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ قَتْلاً فِي ٱلدُّنْيَا وَخُسْرَاناً فِي ٱلآخِرَةِ، إِنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلْبَشَرِيَّةَ لاَ تَرْغَبُ إِلاَّ أَنْ تَرَىٰ عَاقِبَةَ عَدُوِّهَا ٱلْمُبِينِ سَرِيعَةً أَمَامَ عَيْنَيْهَا .

وَكَانَ سَعْدٌ يَرَىٰ أَنَّ عِدَاءَ قُرَيْشٍ سَيَسْتَمِرُّ وَأَنَّ هُدَاهُمْ بَعِيدٌ بَعْدَ أَنْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا بِرَسُولِ ٱللهِ وَأَنَّ أَمْرَ نُبُوَّتِهِ وَاضِحٌ تَمَامَ ٱلْوُضُوحِ ، وَلاَ يُنكِرُهُ إِلاَّ مَنْ كَتَبَ ٱللهُ لَهُ ٱلضَّلاَلَةَ، وَمَنْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْحَالُ حَالَهُ فَٱلْقَتْلُ أَوْلَىٰ بِهِ .

وَعَادَ ٱلْجَيْشُ ٱلإِسْلاَمِيُّ ٱلْمُنْتَصِرِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، يَحْمِلُ مَعَهُ ٱلأَسْرَىٰ، وَيَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَىٰ ٱلسَّبْعِينَ، وَهُمْ مِنْ وُجَهَاءِ قُرَيْشٍ وَزَعَمَائِهَا، وَمِمَّنْ عَادُوا رَسُولَ ٱللهِ وَآذَوْهُ، وَٱسْتَشَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ صَحْبَهُ فِي أَمْرِهِمْ: ٱلْمَنِّ أَوِ ٱلْفِدْيَةُ وَكَانَ رَأْيُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَعُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ أَنْ يُقْتَلَ ٱلأَسْرَىٰ فَلَمْ يَتَأَثَّرَا لِرُؤْيَتِهِمْ صَاغِرِينَ، وَلَمْ يَرْثِيَا لِحَالِهِمْ، وَهُمْ أَذِلاَّءُ مُقَيَّدُونَ، وَٱلْبَطَلُ يَرْثِي لِحَالِ ٱلْبَطَلِ ، وَيُشْفِقُ ٱلْوَجِيهُ عَلَىٰ حَالِ

ٱلْكَبِيرِ، وَيَرْحَمُ ٱلسَّيِّدُ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ، وَلَٰكِنْ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ٱلشَّفَقَةُ وَٱلرَّحْمَةُ وَقَدْ ٱرْتَكَبُوا أَكْبَرَ ذَنْبٍ فِي ٱلدُّنْيَا فِي نَظَرِ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ... ذَنْبِ مُحَارَبَةِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَإِيذَاءِ نَبِيِّهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ دَارِهِ وَمَوْطِنِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

قَبِلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلْأَسْرَىٰ ٱلْفِدْيَةَ بِنَاءً عَلَىٰ رَأْيِ أَصْحَابِهِ ٱلْآخَرِينَ بِمَا فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَمِنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَسْرَىٰ عَمُّهُ ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، وَأَبْنَاءُ عُمُومَتِهِ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ ٱلْحَارِثِ، وَزَوْجُ ٱبْنَتِهِ زَيْنَبَ أَبُو ٱلْعَاصِ بْنُ ٱلرَّبِيعِ.

مَضَىٰ ٱلْأَسْرَىٰ إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَدَّوُا ٱلْفِدْيَةَ وَجَاءَ قَوْلُ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ مُؤَيِّداً رَأْيَ سَعْدٍ وَعُمَرَ فِي ٱلْأَسْرَىٰ «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [١].

وَرُوِيَ عَنْ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ لَقِيَ عُمَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ: «كَادَ يُصِيبُنَا فِي خِلَافِكَ بَلَاءٌ» [٢].

---

(١) الأنفال: آية: ٦٧.

(٢) أورده السيوطي في الدر ٣/٢٠٢ عن أبي نعيم في الحلية عن طريق مجاهد عن ابن عمر.

سَعدُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ
في مَعركةِ أُحُدٍ

بَعْدَ أَنْ رَجعَتْ فُلُولُ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، وَوَصَلَتِ ٱلْعِيرُ، بَدَأَ ٱلتَّحْرِيضُ لِحَرْبِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱسْتَعَانَ ٱلْمُشْرِكُونَ بِمَالِ ٱلْقَافِلَةِ فِي حَربِهِمْ وَٱجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَخَرَجَتْ مَعَ من ٱنْضَمَّ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْعَرَب وَٱلْأَحَابِيش[1]، وَأَخْرَجُوا مَعَهُمُ ٱلنِّسَاءَ فِي ٱلْهَوَادجِ لِٱلْتِمَاسِ ٱلْحَفِيظَةِ وَلِئَلاَّ يَفِرُّوا.

وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَٱسْتَشَارَ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْأَمْرِ فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِٱلْمَدِينَةِ وَتَدعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أقاموا بشر مُقامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا» وَكَانَ رَأْيُ بَعْضِهِمُ ٱلْبَقَاءَ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَرَأْيُ بَعْضِهِمُ ٱلآخَرِ ٱلْخُرُوجَ وَهُمْ غَالِباً مِمَّنْ فَاتَهُمْ يَوْمُ بَدْرٍ وَمِنَ ٱلْمُتَحَمِّسِينَ وَٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُوصَفُوا بِٱلْجُبْنِ، أَمَّا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فَلَمْ يَتَحَدَّثْ فِي ٱلْأَمْرِ، وَتَرَكَ ٱلرَّأْيَ

---

(١) الاحابيش قبائل تحالفت بعضها مع بعض بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة، فنسبوا بعدها إلى ذلك الحلف وأشهر هذه القبائل بنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق.

لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ يَتصَرَّفُ كَيْفَ يُرِيدُ، فَإِنَّمَا هُوَ جُنْدِيٌّ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَيُدَافِعُ عَنِ ٱلدَّعْوَةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَرَاهُ رَسُولُ ٱللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَعَلَىٰ أَيِّ جَبْهَةٍ يَخْتَارُهَا .

دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بَيْتَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ صَلَاةِ ٱلْجُمُعَةِ، وَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ ٱلنَّاسُ، وَقَالُوا: ٱسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ ٱللهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذٰلِكَ فَلَمَا خَرَجَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ! ٱسْتَكْرَهْنَاكَ، وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَٱقْعُدْ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّىٰ يُقَاتِلَ، ثُمَّ سار بِأَصْحَابِهِ، وَمَا إِنْ قَطَعَ مَسَافَةً خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ حَتَّىٰ ٱنْخَذَلَ عَنْهُمْ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيِّ ٱبْنِ سَلُولٍ بِثُلُثِ ٱلنَّاسِ، وَهُوَ يَوْمَذَاكَ رَأْسُ ٱلْمُنَافِقِينَ .

وَصَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ جَبَلِ أُحُدٍ، فَوَضَعَ خَمْسِينَ مِنَ ٱلرُّمَاةِ عَلَىٰ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي عُرِفَ بِٱسْمِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ، مَهْمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ، وَأَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْجَبَلِ، وَٱبْتَدَأَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ، وَأَنْزَلَ ٱللهُ نَصْرَهُ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ، وَكَانَتْ هَزِيمَةُ قُرَيْشٍ لَا شَكَّ فِيهَا، وَظَنَّ ٱلرُّمَاةُ أَنَّ ٱلْأَمْرَ قَدِ ٱنْتَهَىٰ، وَأَسْرَعُوا يُلَاحِقُونَ ٱلْمُشْرِكِينَ، وَيَجْمَعُونَ ٱلْغَنَائِمَ، فَٱنْكَشَفَ ظَهْرُ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَٱلْتَفَّ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِ ٱلْجَبَلِ خَالِدُ

ابْنُ ٱلْوَلِيدِ بِخَيْلِهِ ـ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ ـ وَوَقَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْنِ وَنَادَىٰ مُنَادِي ٱلْمُشْرِكِينَ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، وَعَادَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ لِوَائِهَا، فَٱنْكَشَفَ ٱلْمُسْلِمُونَ وَأَصَابَ فِيهِمُ ٱلْعَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلاَءٍ عَظِيمٍ. وَٱنْخَذَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَنْ رَسُولِهِمْ، فَشُجَّ وَجْهُهُ ٱلْكَرِيمُ، وَجُرِحَتْ شَفَتُهُ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ ٱلْحُفَرِ ٱلَّتِي حَفَرَهَا أَبُو عَامِرٍ ٱلْفَاسِقُ[1] قَبْلَ بَدْءِ ٱلْمَعْرَكَةِ وَلَمْ يَعْرِفْهَا ٱلْمُسْلِمُونَ. وَثَبَتَ مَنْ ثَبَتَ، وَكَانَ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ. وَٱرْتَقَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِهِمُ ٱلْجَبَلَ، وَٱنْصَرَفَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ أَنْ نَادَىٰ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ ٱلْقَابِلِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: قُلْ: نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ.

وَكَانَ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْهُمْ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ[2] وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ[3] وَسَعْدُ بْنُ

---

(١) أبو عامر: هو ابن صيفي النعمان بن مالك بن أمة بن ضبيعة من الأوس وقد ذهب إلى قريش، وأخبرهم بأن الاوس إن رأوه لم يختلف عليه اثنان، وعندما ناداهم قبل أحد خذلوه وكان يدعى الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وهو والد حنظلة الذي استشهد يوم أحد رضي الله عنه.

(٢) حمزة بن عبد المطلب: عم رسول الله ﷺ وأخوه في الرضاعة من ثويبة.

(٣) عبد الله بن جحش: ابن عمة رسول الله ﷺ أمه أميمة بنت عبد =

ٱلرَّبِيعِ[1] وَعَمْرُو ٱبْنُ مُعَاذٍ أَخُو سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَٱلْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ٱبْنُ أَخِي سَعْدٍ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ.[2]

وَكَانَ يَوْمَ أُحُدٍ يَوْمَ بَلاَءٍ وَمُصِيبَةٍ وَتَمْحِيصٍ، ٱخْتَبَرَ ٱللهُ بِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَحَقَ بِهِ ٱلْمُنَافِقِينَ مِمَّنْ كَانَ يُظْهِرُ ٱلْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ، وَهُوَ مُخْفٍ ٱلْكُفْرَ فِي قَلْبِهِ، وَكَانَ يَوْماً أَكْرَمَ ٱللهُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ بِٱلشَّهَادَةِ مِنْ أَهْلِ وِلاَيَتِهِ.

وَعَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا جَاءَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ تَعْدُو نَحْوَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، وَسَعْدٌ آخِذٌ بِلِجَامِهَا فَقَالَ سَعْدٌ: يا رَسُولَ ٱللهِ أُمِّي... فَقَالَ: مَرْحَباً بِهَا، فَوَقَفَ لَهَا، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَزَّاهَا بِٱبْنِها عَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ.

فَقَالَتْ: أَمَا إِذْ رَأَيْتُكَ سَالِماً فَقَدِ ٱشْتُوِيَتْ[3] عِنْدِي ٱلْمُصِيبَةُ.

= المطلب من السابقين في الاسلام وهو أيضاً أخ لرسول الله في الرضاعة من ثويبة.

(١) سعد بن الربيع: أحد سادات الخزرج. وأحد النقباء الاثني عشر.

(٢) مصعب بن عمير: كانت زوجة حمنة بنت جحش أخت عبد الله بن جحش، وأبنة عمة رسول الله ﷺ وتزوجها طلحة بن عبيد الله بعده.

(٣) اشتويت: قلت وهانت.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لأَهْلِ مَنْ قُتِلَ بأُحُدٍ، وَقَالَ لأُمِّ سَعْدٍ: يا أُمَّ سَعْدٍ أَبْشِري ، وبَشِّري أَهْلَهُمْ أَنَّ قَتْلاَهُمْ تَرَافَقُوا في ٱلْجَنَّةِ جَمِيعاً، وقد شَفَعُوا في أَهْلِهِمْ جَمِيعاً.

قَالَتْ: رَضِينَا يا رَسُولَ ٱللهِ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيهِمْ بَعْدَ هٰذَا؟ ثُمَّ قَالَتْ: يا رَسُولَ ٱللهِ، ٱدْعُ لِمَنْ خُلِّفُوا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: ٱللَّهُمَّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ، وَٱجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنْ عَلَىٰ مَنْ خَلَّفُوا.

وَمَرَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بدَارٍ مِنْ دُورِ ٱلأَنْصَارِ مِنْ بَنِي (عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ) وَ (ظَفَرٍ)، فَسَمِعَ ٱلْبُكَاءَ وَٱلنَّوَائِحَ عَلَىٰ قَتْلاَهُمْ، فَذَرَّفَتْ عَيْنَا رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَبَكَىٰ ثُمَّ قَالَ: لٰكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَىٰ دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ، أَمَرَ نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَىٰ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ صلى ٱلله عليهِ وسلم.

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بُكَاءَهُنَّ عَلَىٰ حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ عَلَىٰ بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ٱرْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ ٱللهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بأَنْفُسِكُنَّ، وَنَهَىٰ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّوْحِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بُكَاءَهُنَّ، قَالَ: رَحِمَ ٱللهُ ٱلأَنْصَارَ،

فَإِنَّ ٱلْمُوَاسَاةَ ـ ما عتمت[1] ـ لَقَدِيمَةٌ، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ وَعَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ قَدْ لَحِقُوا قُرَيْشاً إِلَىٰ حَمْرَاءِ ٱلأَسَدِ[2] لِيُرْهِبُوا ٱلْعَدُوَّ وَلِتَعْرِفَ قُرَيْشٌ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً، وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مَا ظَنَّتْ وَأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَفُتَّ فِي عَضُدِهِمْ، إِلاَّ أَنَّ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ حَادِثاً أَلِيماً أَضْعَفَ قُوَّةَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي نَظَرِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ وَمَنْ حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ مِنَ ٱلأَعْرَابِ، فَطَمِعُوا فِي غَزْوِ ٱلْمَدِينَةِ.

وَكَانَتْ حَادِثَةُ ٱلرَّجِيعِ حَيْثُ غَدَرَتْ عَضَلٌ وَٱلْقَارَةُ[3] بِسِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ مَعَهُمْ لِيُفَقِّهُوهُمْ فِي ٱلدِّينِ.

ثُمَّ كَانَتْ حَادِثَةُ بِئْرِ مَعُونَةَ حَيْثُ غَدَرَتْ بَنُو سُلَيْمٍ بِسَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ لِيَدْعُوا أَهْلَ نَجْدٍ.

وَحَاوَلَ بَنُو ٱلنَّضِيرِ مِنَ ٱلْيَهُودِ قَتْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَدْراً، فَحَاصَرَهُمْ، وَأَجْلاَهُمْ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا إِلَىٰ خَيْبَرَ،

---

(١) ما علمت.

(٢) حمراء الاسد: موقع جنوب غربي المدينة على بعد ١٠٠ كم منها ويقع شمال شرق بدر.

(٣) عضل والقارة: اسم قبيلتين.

وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَىٰ ٱلشَّامِ .

وَقَدْ قَسَمَ غَنَائِمَ بَنِي ٱلنَّضِيرِ عَلَىٰ ٱلْمُهَاجِرِينَ دُونَ ٱلأَنصَارِ بَعْدَ ٱسْتِشَارَةِ ٱلأَنْصَارِ وَمُوَافَقَتِهِمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَداً مِنَ ٱلأَنْصَارِ مِنْ غَنَائِمِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ إِلاَّ رَجُلَيْنِ فَقِيرَيْنِ ، هُمَا : سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَأَبُو دُجَانَة ، وَقَدْ أَعْطَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ سَيْفَ سَيِّدِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ سَلاَّمِ بْنِ أَبِي ٱلْحُقَيْقِ إِلَىٰ سَيِّدِ ٱلأَوْسِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَ لِذٰلِكَ ٱلسَّيْفِ ذِكْرٌ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ [1] .

---

(١) انظر للتوسع بشأن هاتين الغزوتين: أحد وبني النضير، كتابنا: السيرة النبوية، صدر عن المكتب الاسلامي.

سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ
في غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ

وَصَلَ خَبَرٌ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَنَّ سَيِّدَ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ ٱلْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ قَدْ أَخَذَ يَحْشُدُ قَوْمَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قَبَائِلِ ٱلعَرَبِ لِغَزْوِ ٱلمَدِينَةِ، وَقَدْ جَمَعَ لِذٰلِكَ جُمُوعاً كَثِيرَةً.

وَلَمَّا تَأَكَّدَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلْخَبَرِ، أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَعِنْدَمَا ٱلْتَقَىٰ بِهِمْ أَحَاطَ بِهِمْ، فَمَا أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عَشَرَةُ قَتْلَىٰ، ثُمَّ ٱسْتَوْلَىٰ ٱلْجَيْشُ ٱلإِسْلامِيُّ عَلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَعَلَىٰ كُلِّ مَا فِيهَا، وَٱسْتَاقَ كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ ٱلْخَيْلِ وَٱلشَّاءِ وَٱلإِبِلِ، وَسَبَىٰ نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيهِمْ.

وَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِنْتَ ٱلْحَارِثِ زَعِيمِ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ بَعْدَ أَنِ ٱفْتَدَاهَا أَبُوهَا، وَأَسْلَمَتْ هِيَ وَأَبُوهَا.

ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَاحَ ٱلأَسْرَىٰ وَٱلسَّبَايَا، وَأَثْنَاءَ عَوْدَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ حَدَثَتْ حَادِثَةُ ٱلإِفْكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا رَأْسُ ٱلنِّفَاقِ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيٍّ.

وَخَطَبَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ عَلَىٰ ٱلْمِنْبَرِ: مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَ ٱللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلاَّ خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلاَّ مَعِي، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يا رَسُولَ ٱللهِ أَنَا وَٱللهِ أُعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ ٱلأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ ٱلْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ ٱلْخَزْرَجِ وَقَدْ أَخَذَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ ٱللهِ، لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ ذٰلِكَ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ ٱللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ.[1]

---

(١) انظر كتابنا «السيرة النبوية».

سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ في مَعرَكةِ الخَنْدَق

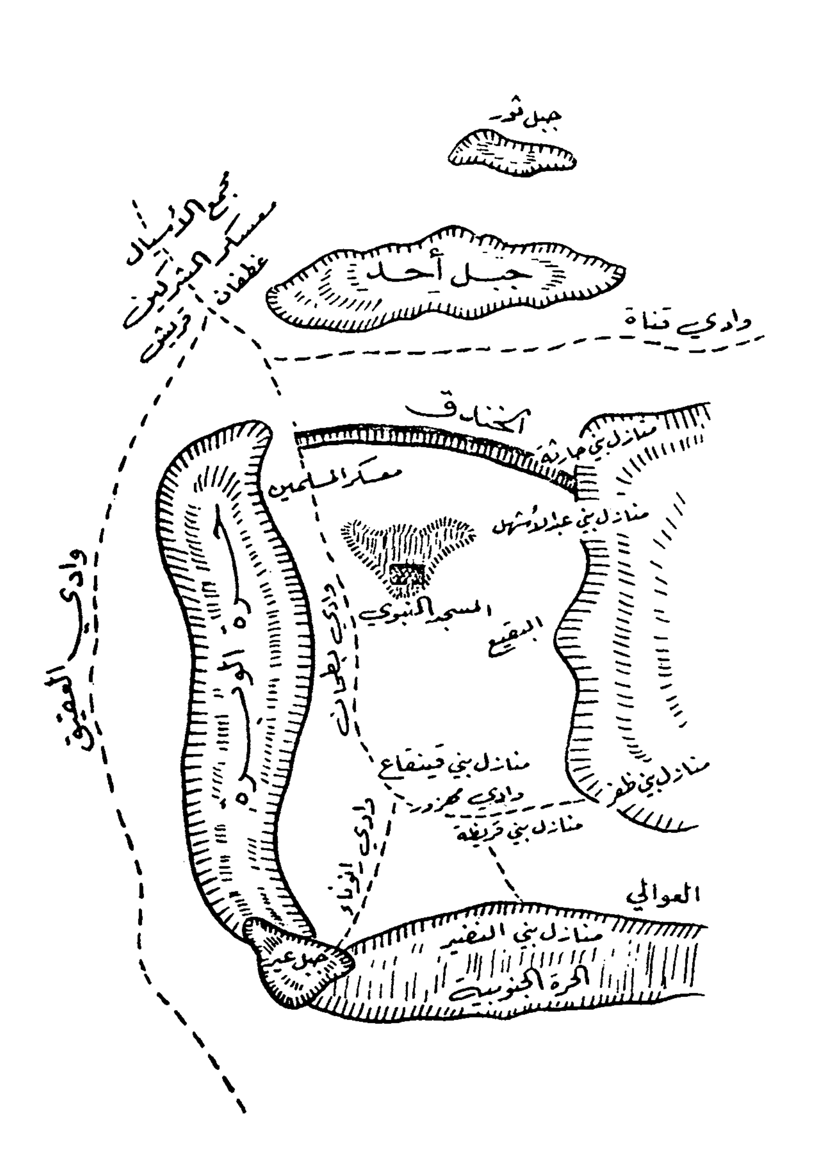
ٱسْتَطَاعَ ٱلْيَهُودُ ٱلَّذِينَ أُجْلُوا عَنِ ٱلْمَدِينَةِ، وَٱتَّجَهُوا نَحْوَ خَيْبَرَ، أَنْ يُخْضِعُوا أَهْلَ خَيْبَرَ لِنُفُوذِهِمْ، كَمَا ٱسْتَطَاعَ بَعْضُ زُعَمَائِهِمْ أَمْثَال : سَلاَّمِ بْنِ أَبِي ٱلْحُقَيْقِ وَحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ أَنْ يُحَرِّضُوا قُرَيْشاً وَغَطَفَانَ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَأَنْ يُحَزِّبُوا ٱلأَحْزَابَ ضِدَّهُ.

خَرَجَتْ هٰذِهِ ٱلأَحْزَابُ لِتُقَاتِلَ رَسُولَ ٱللهِ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ يَقُودُ قُرَيْشاً، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ابْنِ بَدْرٍ[1] وَٱلْحَارِثُ[2] بْنُ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ٱلْمُرِّيِّ يَقُودَانِ غَطَفَانَ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ جَعَلَ ٱلْخَنْدَقَ حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ بِٱقْتِرَاحٍ مِنْ سَلْمَانَ ٱلْفَارِسِيِّ.

---

(١) عيينة لقب واسمه الصحيح حذيفة، وإنما لقب بـ (عيينة) لشتر كان في إحدى عينيه، وكان زعيم بني فزارة، أسلم، ثم ارتد، وكان مع طليحة المتنبيء، أخذ أسيراً أثناء حروب الردة، ومنّ عليه أبو بكر رضي الله عنه فأظهر الإسلام وكان رسول الله ﷺ يسميه الأحمق المطاع.

(٢) الحارث زعيم بني مرة.



جبل ثور
جبل أحد
وادي قناة
مجمع الأسيال
معسكر المشركين
غطفان
قريش
الخندق
معسكر المسلمين
منازل بني حارثة
منازل بني عبد الأشهل
المسجد النبوي
البقيع
وادي بطحان
وادي العقيق
حرة الوبرة
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
منازل بني قريظة
منازل بني ظفر
العوالي
منازل بني النضير
الحرة الجنوبية
جبل عير

وَصَلَتِ ٱلأَحْزَابُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَبَلَغَ تَعْدَادُ جُنْدِهَا عَشَرَةَ آلاَفِ مُقَاتِلٍ وَتَمَرْكَزُوا جَنُوبَ غَرْبِيّ جَبَلِ أُحُدٍ فِي مَجْمَعِ ٱلأَسْيَالِ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ ٱللهِ فِي ثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَتَمَرْكَزُوا شِمَالَ جَبَلِ سَلْعٍ، وَيَفْصِلُ ٱلْخَنْدَقُ بَيْنَ ٱلْمُعَسْكَرَيْنِ.

نَزَلَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ دَارَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَدَخَلَ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ زَعِيمِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَصَاحِبِ عَقْدِهِمْ وَعَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ نَقَضَ ٱلْعَهْدَ وَبَرِىءَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، وَنَزَلَ حُيَيٌّ مَعَهُ فِي حِصْنِهِ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ خَبَرُ نَقْضِ بَنِي قُرَيْظَةَ ٱلْعَهْدَ؛ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَعَبْدَ ٱللهِ بْنَ رَوَاحَةَ وَخَوَّاتَ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: ٱنْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمِ أَمْ لاَ؟ فَإِنْ كَانَ حَقّاً، فَٱلْحَنُوا لِي لَحْناً أَعْرِفُهُ،[1] وَلاَ تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ ٱلنَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ ٱلْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ، فَخَرَجُوا حَتَّىٰ أَتَوْهُمْ،

---

(١) لَحَنَ له: قال له قولاً يفهمه ويخفى على غيره.

فَوَجَدُوهُمْ عَلَىٰ أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ، فِيمَا نَالُوا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَقَالُوا: مَنْ رَسُولُ ٱللهِ؟ لاَ عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلاَ عَقْدَ، فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِيهِ حِدَّةٌ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: دَعْ عَنْكَ مَشَاتِمَهُمْ، فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَىٰ مِنَ ٱلْمُشَاتَمَةِ وَنَصَحَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بَنِي قُرَيْظَةَ وَهُمْ حُلَفَاؤُهُ فِي مُحَاوَلَةٍ أَخِيرَةٍ يَدْعُوهُمْ بِٱلرُّجُوعِ عَنْ غَيِّهِمْ، وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ نَقْضِ ٱلْعَهْدِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يا بَنِي قُرَيْظَةَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ وَلٰكِنَّهُمْ سَخِرُوا مِنْ سَيِّدِ ٱلأَوْسِ وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ كَلِمَاتٍ قَذِرَةً.

فَقَالَ لَهُمْ سَعْدٌ: «غَيْرُ هٰذَا ٱلْقَوْلِ كَانَ أَجْمَلَ بِكُمْ وَأَحْسَنَ يا بَنِي قُرَيْظَةَ» فَتَمَادَىٰ يَهُودُ فِي غَيِّهِمْ، وَنَالُوا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليهِ وسلم.

فَلَمَّا يَئِسَ سَعْدٌ، وَيَئِسَ ٱلْوَفْدُ ٱلَّذِي مَعَهُ تَرَكُوهُمْ، وَعَادُوا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَضَلٌ وَٱلْقَارَةُ[1] فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: ٱللهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يا مَعْشَرَ ٱلْمُسْلِمِينَ.

---

(١) أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه.

وَعَظُمَ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْبَلاَءُ وَٱشْتَدَّ ٱلْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، وَنَجَمَ ٱلنِّفَاقُ مِنْ بَعْضِ ٱلْمُنَافِقِينَ حَتَّىٰ قَالَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ:[١] كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرٍ وَأَحَدُنَا ٱلْيَوْمَ لاَ يَأْمَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ ٱلْغَائِطِ، وَحَتَّىٰ قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ: يا رَسُولَ ٱللهِ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ عَلَىٰ ٱلْعَدُوِّ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ مَلأٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ، فَنَرْجِعَ، إِلَىٰ دَارِنَا، فَإِنَّهَا خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ.. فَأَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ:

«يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً، إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللهِ ٱلظُّنُونَ: هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنَ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ

---

(١) معتب بن قشير من الانصار من قبيلة الاوس من بني عمرو بن عوف، ولم يكن من المنافقين وقد شهدا بدراً.

بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً» فَأَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَأَقَامَ ٱلْمُشْرِكُونَ بِضْعاً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَلَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلاَّ ٱلرَّمْيَ بِٱلنَّبْلِ وَٱلْحِصَارَ. فَلَمَّا ٱشْتَدَّ عَلَى ٱلنَّاسِ ٱلْبَلاَءُ بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَإِلَى ٱلْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ٱلْمُرِّيِّ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ ٱلْمَدِينَةِ، عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا ٱلصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا ٱلْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلشَّهَادَةُ وَلاَ عَزِيمَةُ ٱلصُّلْحِ إِلاَّ ٱلْمُرَاوَحَةَ فِي ذٰلِكَ، وَٱسْتِشَارَةَ زُعَمَاءِ ٱلأَنْصَارِ. فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُمَا وَٱسْتَشَارَهُمَا فِيهِ فَقَالاَ لَهُ: يا رَسُولَ ٱللهِ أَمْراً تُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئاً أَمَرَكَ ٱللهُ بِهِ، لاَ بُدَّ لَنَا مِنَ ٱلْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئاً تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَٱللهِ مَا أَصْنَعُ ذٰلِكَ إِلاَّ لأَنَّنِي رَأَيْتُ ٱلْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ: يا رَسُولَ ٱللهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِٱللهِ وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، لاَ نَعْبُدُ ٱللهَ وَلاَ نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لاَ

يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً وَاحِدَةً إلاَّ قِرىً أَوْ بَيْعاً ، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا ٱللهُ بِٱلْإِسْلاَمِ ، وَهَدَانَا لَهُ ، وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ؟ وَٱللهِ مَالَنَا بِهٰذَا مِنْ حَاجَةٍ ، وَٱللهِ لاَ نُعْطِيهِمْ إلاَّ ٱلسَّيْفَ ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : فَأَنْتَ وَذَاكَ ، فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ ، فَمَحَا ما فِيهَا مِنَ ٱلْكِتَابِ ثُمَّ وَجَّهَ كَلاَمَهُ إِلَىٰ سَيِّدَيْ غَطَفَانَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَٱلْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ ٱرْجِعَا لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سِوَىٰ ٱلسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَ : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا وَكَانَ لِهٰذَا ٱلْكَلاَمِ أَثَرُهُ ٱلْحَسَنُ فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّاتِ ٱلْخَصْمِ ، وَزِيَادَةِ مَعْنَوِيَّاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ ٱلْعَقِيدَةِ وَشِحَنَاتِ ٱلإِيْمَان ٱلشَّدِيدَةِ .

وَأَقَامَ ٱلْمُسْلِمُونَ خَلْفَ ٱلْخَنْدَق ، وَٱلْأَحْزَابُ يُحَاصِرُونَ ٱلْمَدِينَةَ مِنْ خَلْفِهِ ، وَحَاوَلَ بَعْضُ أَبْطَالِ ٱلْأَحْزَاب ٱقْتِحَامَ ٱلْخَنْدَقِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ ٱلعَامِرِيُّ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرُهُمْ وَبَرَزَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لِعَمْرِو ابْنِ عَبْدِ وُدٍّ ٱلْعَامِرِيِّ ٱلَّذِي دَعَا إِلَىٰ ٱلْمُبَارَزَةِ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فَوَلَّتْ خَيْلُ ٱلأَحْزَابِ ٱلأَدْبَارَ وَٱقْتَحَمَتِ ٱلْخَنْدَقَ مُنْهَزِمَةً إِلَىٰ خَلْفِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ غَيْرِ ذٰلِكَ إِلاَّ ٱلرَّمْيَ بِٱلنِّبَالِ وَٱلْحِصَارَ وَأَثْنَاءَ هٰذَا ٱلْحِصَارِ كَانَتْ نِسَاءُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحُصُونِ، كَمَا كَانَ بعْضُ ٱلرِّجَالِ يَحْمُونَ ٱلْحُصُونَ، وَيُدَافِعُونَ عَنِ ٱلنِّسَاءِ فِيمَا إِذَا تَعَرَّضْنَ لِغَارَةٍ أَوْ لِمَكِيدَةٍ مِنَ ٱلْخَلَفِ مِنْ قِبَلِ بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ، وَكَانَ مِنْ أَحْرَزِ حُصُونِ ٱلْمَدِينَةِ. وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مَعَهَا فِي ٱلْحِصْنِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يا أُمَّ سَعْدٍ وَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ[1] مِمَّا هِيَ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي نَفْسِهَا وَخِفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ ٱلسَّهْمُ مِنْهُ، وَكَانَ قَدْ مَرَّ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مُقَلَّصَةٌ[2]، قَدْ خَرَجَتْ مِنْها ذِرَاعُهُ كُلُّهَا، وَفِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ يَرْقَدُ[3] بها وَيَقُولُ:

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ ٱلْهَيْجَا جَمَلْ
لاَ بَأْسَ بِٱلْمَوْتِ إِذَا حَانَ ٱلأَجَلْ[4]

---

(١) أسبغ: أكمل وأطول.

(٢) قصيرة، تقلص الشيء ارتفع وانقبض.

(٣) يَرْقَدُ، يسرع. ٱرْقَدَّ: أسرع في السير. لَبِّثْ: ٱنْتَصِر.

(٤) البيت ليس لسعد بن معاذ وإنما كان يتمثل به.

وَمَا إِنْ وَصَلَ سَعْدٌ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْخَنْدَقِ حَتَّىٰ رُمِيَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِي ٱلأَكْحَلِ،[1] وَيُقَالُ إِنَّ ٱلَّذِي رَمَاهُ هُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ ٱبْنِ ٱلْعَرِقَةِ.[2] فَلَمَّا أَصَابَهُ، قَالَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ٱبْنُ ٱلْعَرِقَةِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: عَرَّقَ ٱللهُ وَجْهَكَ فِي ٱلنَّارِ، ٱللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئاً، فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لاَ قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، ٱللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ ٱلْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَٱجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً، وَلاَ تُمِتْنِي حَتَّىٰ تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ[3].

---

(١) الأَكْحَلُ: عِرْقٌ فِي ٱلْيَدِ.

(٢) هو ابن قيس بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص ابن عامر بن لؤي والعرقة هي قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة، وسميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة، أم أمها هالة.

ويروى أن الذي أصحاب سعداً رضي الله عنه هو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم، كما ويروى أن الذي رمى سعداً هو خفاجة بن عاصم بن حبان.

(٣) انظر كتابنا «السيرة النبوية».

سَعدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنهُ
في غزوة بني قُرَيظَةَ

أَقَامَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ٱلْخَوْفِ وَٱلشِّدَّةِ، لِتَظَاهُرِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ: وَإِتْيَانِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ وَهُوَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ وَقَالَ لَهُ: يا رَسُولَ ٱللهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وإِنَّ قَومِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ ٱسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ ٱلْحَرْبَ خُدْعَةٌ، فَخَرَجَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعودٍ حَتَّىٰ أَتَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيماً في ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: يا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشاً وَغَطَفَانَ لَيسُوا كَأَنْتُمْ، ٱلْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لاَ تَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشاً وَغَطَفَانَ جَاؤُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ. وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذٰلِكَ لَحِقُوا بِبِلاَدِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلاَ

طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلاَ بِكُمْ، فَلاَ تُقَاتِلُوا مَعَ ٱلْقَوْمِ حَتَّىٰ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْناً مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ، عَلَىٰ أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّداً حَتَّىٰ تُنَاجِزُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشاً، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّداً، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقّاً أَنْ أُبَلِّغَكُمُوهُ، نُصْحاً لَكُمْ، فَٱكْتُمُوا عَنِّي، إِنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدِ ٱتَّفَقُوا أَنْ يَأْخُذُوا رَهَائِنَ مِنْكُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَأَنْ يُقَاتِلُوا مَعَ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ بَعَثُوا إِلَيْكُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْناً مِنْ رِجَالِكُمْ فَلاَ تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلاً وَاحِداً.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ غَطَفَانَ فَقَالَ: يا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ ٱلنَّاسِ إِلَيَّ، وَلاَ أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ، وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ.

وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ بَيْنَ ٱلأَحْزَابِ، وَبَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ رِيحاً عَاتِيَةً فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ ٱلْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تُطْفِىءُ قُدُورَهُمْ، وَتَقْلَعُ خِيَامَهُمْ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يا مَعْشَرَ

قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَٱللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ ٱلْكُرَاعُ وَٱلْخُفُّ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ ٱلَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ ٱلرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَٱرْتَحِلُوا إِنِّي مُرْتَحِلٌ.

وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ فَٱنْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ. ٱرْتَحَلَتِ ٱلأَحْزَابُ، وَٱنْصَرَفَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَنِ ٱلْخَنْدَقِ رَاجِعاً إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَوَضَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلسِّلاَحَ.

فَلَمَّا كَانَ ٱلظُّهْرُ، أَتَىٰ جِبْرِيلُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ: أَوَقَدْ وَضَعْتَ ٱلسِّلاَحَ يا رَسُولَ ٱللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ، فَمَا وَضَعَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ ٱلسِّلاَحَ بَعْدُ. إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ يا مُحَمَّدُ بِٱلْمَسِيرِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُزَلْزِلٌ بِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُؤَذِناً فِي ٱلنَّاسِ: مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً، فَلاَ يُصَلِّيَنَّ ٱلْعَصْرَ إِلاَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَقَدَّمَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَسَارَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ. وَتَحَصَّنَ ٱلْيَهُودُ دَاخِلَ حُصُونِهِمْ وَطَالَ ٱلأَمْرُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَجِدُوا بُدّاً مِنَ

ٱلنُّزُول عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ خَمْساً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، فَتَوَاثَبَتِ ٱلأَوْسُ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّهُمْ مَوالِينَا دُونَ ٱلْخَزْرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ في مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِٱلأَمْسِ مَا قَدْ فَعَلْتَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ ٱلْخَزْرَجِ ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِهِ. فَسَأَلَهُ إِيَّاهُم عَبْدُ ٱللهِ ٱبْنُ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ، فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ ٱلأَوْسُ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : أَلاَ تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ ٱلأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فَذَاكَ إِلَىٰ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ في خَيْمَةٍ لِٱمْرَأَةٍ مِنْ (أَسْلَمَ)، يُقَالُ لَهَا (رُفَيْدَةُ)، وَفي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُدَاوِي ٱلْجَرْحَى، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَىٰ خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ ٱلسَّهْمُ بِٱلْخَنْدَقِ ٱجْعَلُوهُ في خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ، حَتَّىٰ أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا حَكَّمَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ في بَنِي قُرَيْظَةَ ، أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَىٰ حِمَارٍ وَقَدْ وَضَعُوا لَهُ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ ، وَكَانَ رَجُلاً جَسِيماً جَمِيلاً ، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ عَلَىٰ

رَسُولِ ٱللهِ ﷺ .

وَهُمْ يَقُولُونَ: يا أَبا عَمْرٍو، أَحْسِنْ في مَوَالِيكَ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ إِنَّمَا وَلاَّكَ ذٰلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيهِ قَالَ: لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَلاَّ تَأْخُذَهُ في ٱللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ . فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَىٰ دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ ، فَنَعَىٰ لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ، عَنْ كَلِمَتِهِ ٱلَّتِي سمعها مِنْهُ فَلَمَّا ٱنْتَهَىٰ سَعْدٌ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَٱلْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ. فَأَمَّا ٱلْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَيَقُولُون: إِنَّما أَرَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلأَنْصَارَ، وَأَمَّا ٱلأَنْصَارُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَدْ وَلاَّكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدٌ: أَخْشَىٰ أَلاَّ أُصِيبَ فِيهِمْ حُكْمَ ٱللهِ ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : ٱحْكُمْ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ـ وَقَدْ ٱتَّجَهَ نَحْوَ ٱلأَوْسِ ـ عَلَيْكُمْ بِذٰلِكَ عَهْدُ ٱللهِ وَمِيثَاقُهُ، أَنَّ ٱلْحُكْمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَعَلَىٰ مَنْ هٰهُنا؟ في ٱلنَّاحِيَةِ ٱلَّتِي كَانَ فِيهَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ إِجْلاَلاً، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ: نَعَمْ، قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ ٱلرِّجَالُ، وَتُقْسَمَ ٱلأَمْوَالُ، وَتُسْبَىٰ

ٱلذَّرَارِي وَٱلنِّسَاءُ . قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ ٱللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ[1] ثُمَّ ٱسْتُنْزِلُوا ، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ ٱلْحَارِثِ[2] مِنْ بَنِي ٱلنَّجَّارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ سُوقِ ٱلْمَدِينَةِ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ ٱلْخَنَادِقِ ، يُخْرَجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالاً[3] وَفِيهِمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ ٱلْقَوْمِ ، وَحُيَيُّ بْنُ أَخطَبَ مِنْ بَنِي ٱلنَّضِيرِ، وَهُوَ ٱلَّذِي حَرَّضَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَىٰ نَقْضِ عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ مَعَهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، وَكَانَ عَدَدُ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّمِائَةٍ أَوْ سَبعَمِائَةٍ، وَتَقُولُ بَعْضُ ٱلرِّوَايَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ ٱلثَّمَانِمِائَةِ وَٱلتِسْعِمِائَةِ .

---

(١) أرقعة : جمع رقيع وهو السماء .

(٢) رملة بنت الحارث: قد اختلف في نسبها وهي من بني النجار.

(٣) أرسالا : طائفة بعد أخرى .

وَفَاةُ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ

فَلَمَّا ٱنْقَضَىٰ شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ ٱنْفَجَرَ بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ جُرْحُهُ، وَقَدْ كَانَ بَرَأَ حَتَّىٰ مَا يُرَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ مِثْلَ الخُرْصِ . وَٱسْتَجَابَ ٱللهُ دَعْوَتَهُ. وَقَدْ شَهِدَ مَصِيرَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَجَعَلَهَا ٱللهُ لَهُ شَهَادَةً، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ وَقَدْ ذَكَرَ ٱلْحُمَّىٰ: مَنْ كَانَتْ بِهِ فَهِيَ حَظُّهُ مِنَ ٱلنَّارِ، فَسَأَلَهَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ رَبَّهُ، فَلَزِمَتْهُ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّىٰ فَارَقَ ٱلدُّنْيَا، وَأَجَابَهُ ٱللهُ عَلَىٰ سُؤَالِهِ، وَسَمِعَ دُعَاءَهُ.

أُعِيدَ سَعْدٌ إِلَىٰ قُبَّتِهِ ٱلَّتِي ضَرَبَهَا لَهُ رَسُولُ ٱللهِ، فَحَضَرَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا: فَوَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَأَخَذَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ رَأْسَ سَعْدٍ وَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، وَسُجِّيَ بِثَوْبٍ أَبْيَضَ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ: ٱللَّهُمَّ إِنَّ سَعْداً قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وَصَدَّقَ رَسُولَكَ، وَقَضَىٰ ٱلَّذِي عَلَيْهِ، فَتَقَبَّلْ رُوحَهُ بِخَيْرِ مَا تَقَبَّلْتَ بِهِ رُوحاً. فَلَمَّا سَمِعَ سَعْدٌ كَلاَمَ رَسُولِ ٱللهِ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ٱلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا

رَسُولَ ٱللهِ، أَمَا إِنِي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ، وَلَمَّا رَأَىٰ أَهْلُ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ قَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ ذُعِرُوا وَٱعْتَقَدُوا أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ حَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: جَزَاكَ ٱللهُ خَيْراً يا رَسُولَ ٱللهِ مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ، فَقَدْ أَنْجَزْتَ ٱللهَ مَا وَعَدْتَهُ، ولَيُنْجِزَنَّكَ ٱللهُ مَا وَعَدَكَ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ أَتَـىٰ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ حِينَ قُبِضَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ جَوْفِ ٱللَّيْلِ مُعْتَمِراً بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ مَنْ هٰذَا ٱلْمَيْتُ ٱلَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ، وَٱهْتَزَّ لَهُ ٱلْعَرْشُ؟ فَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ إِلَىٰ سَعْدٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ.

وَجَاءَ بَنُو عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَٱحْتَمَلُوا سَعْـداً إِلَـىٰ دِيـارِهِـمْ. وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ: هَنِيئاً لَكَ أَبا عَمْرٍو، هَنِيئاً لَكَ أَبا عَمْرٍو ثُمَّ غُسِّلَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَبْكِي وَتَقُولُ:

وَيْـلَ أمِّ سَعْـدٍ سَعْـدا صَـرَامَـةً وَحَـدّا
وَسُـؤْدُداً وَمَجْـدا وَفَـارِسـاً مُعَـدّا
سُـدَّ بِـهِ مَسَـدّا يَقُـدُّ هَـامـاً قَـدّا

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: مَهْلاً أُمَّ سَعْدٍ لاَ

تَذْكِري سَعْداً، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إِلاَّ نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وَحَمَلَ ٱلنَّاسُ جِنَازَتَهُ، فَوَجَدُوا لَهُ خِفَّةً، مَعَ أَنَّهُ كَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ رَجُلاً جَسِيماً، فَقَالُوا ذٰلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: إِنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ، وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ٱسْتَبْشَرَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ، وَٱهْتَزَّ لَهُ ٱلْعَرْشُ، وَلَمَّا دُفِنَ سَعْدٌ تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَسَبَّحَ، فَسَبَّحَ ٱلنَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرَ ٱلنَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ، مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قَالَ: لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَىٰ هٰذَا ٱلْعَبْدِ ٱلصَّالِحِ قَبْرُهُ، حَتَّىٰ فَرَّجَهُ ٱللهُ عَنْهُ.

وَرَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِياً لَكَانَ سَعْدَ ٱبْنَ مَعَاذٍ. وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لأُمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: أَلاَ يَرْقَأُ دَمْعَكِ وَيُذْهِبُ حُزْنَكِ أَنَّ ٱبْنَكِ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ ٱللهُ لَهُ وَٱهْتَزَّ لَهُ ٱلْعَرْشُ؟. وَأَتَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ لِينِهِ فَقَالَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ: لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي ٱلْجَنَّةِ أَلْيَنُ مِنْ هٰذَا.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ جِنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ ٱلْمَلائِكَةِ نَزَلُوا إِلَىٰ ٱلأَرْضِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَذَكَرَ مَنْ حَضَرَ قَبْرَهُ أَنَّ رَائِحَةَ ٱلْمِسْكِ كَانَتْ تَفُوحُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلتُّرَابِ.

وَدُفِنَ بِٱلْبَقِيعِ، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبعاً وَثَلاثِينَ سَنَةً، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَشَدَّ فَقْداً عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وَقَضَىٰ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ شَهِيداً وَقَدْ صَدَقَ ٱللهَ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ فَأَثَابَهُ ٱللهُ جَنَّةً عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

وَنَرْجُو مِنَ ٱللهِ أَنْ تَكُونَ دِرَاسَةُ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ أُسْوَةً حَسَنَةً لَنَا فِي أَعْمَالِنَا وَسُلُوكِنَا وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

الخاتمة

إنَّ حيَاةَ ٱلصَّحَابيِّ ٱلْجَليلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لَتُبَيِّنُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ صَحَابَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلَّذِينَ ٱمْتَازُوا بِرَجَاحَةِ عَقْلِهِمْ وَعَظِيمِ إِيمَانِهِمْ وَكَبِيرِ ثِقَتِهِمْ بِرَبِهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ أَقْوَالُهُ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ يُلْقِيهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ تُتَرْجَمُ إِلَىٰ أَعْمَالٍ وَأَفعَالٍ تَنِمُّ عَنْ إِخْلَاصٍ كَبيرٍ وَإِيمَانٍ عَمِيقٍ ، فَإِنَّ ٱلْفِكْرَةَ لاَ تُؤْخَذُ بِٱلنَّظَرِيَّاتِ وَمِنْ صَفَحَاتِ ٱلْكُتُبِ وَإِنَّمَا مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلَّذِينَ يَتمَثَّلُونَهَا .

وَإِنَّ قُوَّةَ إِيمَانِهِ قَدْ جعَلَتْهُ يَخْلَعُ كُلَّ رَوَاسِبِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَيَأْخُذُ ٱلإِسْلاَمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَتَشْرِيعاً . وَقَدْ صَقَلَهُ هٰذَا الإِسْلاَمُ بِتَرْبِيَتِهِ فَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ٱلَّذِي عَرَفْنَا حَيَاتَهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

وَلَقَدْ كَانَ قَائِدَ حَرَسِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ أَبْطَالِ ٱلأَوْسِ أَمْثَالُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا .